خـــاصّ: نـــفـــائـس الأرشـــيـــف الوطنـــي

ليدرز العربية

Leaders

العدد 24 • السعر : 2،5 د.ت • ديسمبر 2017

العرب تحت ضغط التّطبيع ووطأة صفقة القرن...

احميدة النّيفر: النهضة في تحوّلاتها «المكتومـــة»

بقلم عبد الحفيظ العرقام

تقديم الأهمّ على المهمّ

ترحل سنة 2017 وفي الذّاكرة أحداث جسام وخطوب جلل، آخرها قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إعلان القدس عاصمة لإسرائيل تمهيدا لنقل سفارة بلاده إلى هذه المدينة.. قرار أثار غضب الشارع والأوساط السياسية في تونس وفي سائر الدول العربية والإسلامية وأدانته عواصم عدّة في مختلف القارّات، لكنّه أعاد القضية الفلسطينية ومسألة القدس إلى دائرة الضّوء في السّاحة الدولية وفرض على أصحاب هذه القضيّة العادلة ومناصريها اعتماد صيغ تحرّك جديدة للدفاع عنها ومؤازرتها.

وإلى جانب هذا القرار الجائر، ترتسم في الذّاكرة الجماعيّة آثار الحرب المدمّرة ضدّ داعش في سوريا والعراق، والتّداعيات المحتملة على الأمن القومي والأمن الإقليمي لعودة الإرهابيين أو لاتّخاذهم موطئ قدم في بؤر توتّر أخرى بعد اندحارهم في هذين البلدين، وفظائع الحرب العبثيّة في اليمن، علاوة على العمليات الإرهابيّة المتكرّرة في مصر واستمرار المأساة الإنسانية في ليبيا في ظلّ المخاض العسير للتسوية السياسية في هذا البلد. وإنّ ما عرضناه ليس، في الحقيقة، إلّا شذرات من واقع عربيّ حزين منكسر.

أمّا وطنيّا، فإنّ ما يبقى عالقا بالذاكرة احتدام الأزمة المالية رغم انتعاشة اقتصادية نسبية خلال السداسيين الأخريين وانحدار مستوى الممارسة السياسية بسبب غياب التصوّرات والبرامج الجادّة، مقابل التهافت على المناصب والمواقع وتحوّل منطق الغنيمة إلى قاعدة للحكم، إضافة إلى تحلّل مفهوم الوحدة الوطنية الذي قامت على أساسه حكومة يوسف الشاهد.. هذه الحكومة التي باتت منذ مدّة في مرمى «النيران الصديقة» ومحلّ انتقاد حتّى من داخل أحزاب مكوّنة للائتلاف الحاكم كثيرا ما إدّعت مساندتها لها في محاربة الفساد وإنجاز الإصلاحات الكبرى المطلوبة. ولا شكّ أنّ ضعف حزام الحكومة السياسي ساهم في إرباكها ونال من قدرتها على فرض خياراتها لإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.غير أنّ ذلك لا يعفي الحكومة من مسؤولية ما أصاب عملها من تخبّط في معالجة بعض الملفّات وعجزها أحيانا عن طرح رؤى مجدّدة للخروج من عنق الزجاجة بدل اللجـــوء إلى الحلول السهلة، كمـــا تجـــلّى ذلك بالخصوص خلال عرض مشـــروع قـــانون المـــالية لسنة 2018.

هكذا يتراءى لنا المشهد في بعض ملامحه، إقليميا ووطنيا، مع مطلع عام جديد، وأيّاما قليلة قبل الذكرى السابعة لثورة 14 جانفي 2011، في وقت تملّك فيه التشاؤم أغلب التونسيين، واعتبر فيه 80 بالمائة منهم أنّ الأمور سارت نحو الأسوإ طيلة السنوات السبع الأخيرة، وفق ما أظهرته مؤخّرا عملية سبر للآراء. فهل من أمل في أن تسرع البلاد الخطى خلال سنة 2018 على درب التّعافي من أزمتها الخانقة عسى أن يتبدّل مزاج التونسيين وينزاح عنهم الكدر والغمّ فيستعيدون الثقة في المستقبل ؟

لنقرّ بأنّه ليس من خيار اليوم أمام التونسيين سوى التسلّح بالأمل والكدّ والاعتماد على الذّات في المقام الأوّل والإيمان بأنّ تدارك الوضع، على صعوبته، ممكن، شريطة الانطلاق الجدّي في تنفيذ الإصلاحات الكبرى بمراجعة منظومة الدّعم وتوجيهه نحو مستحقّيه وخصخصة عدد من المؤسسات العمومية المفلسة في القطاعات التنافسية غير الاستراتيجية وتطوير أداء الإدارة حتّى تكون محرّكا للاقتصاد ومعالجة تفاقم عجز الصناديق الاجتماعية، مع الحرص على ألّا تكون التّضحيات الواجب القيام بها على حساب الطبقات المتوسّطة والضعيفة.

وبالإضافة إلى هذه الرهانات المطروحة، فإنّه من المنتظر أن تشهد سنة 2018 إجراء الانتخابات البلدية. وعلى الرغم ممّا يكتسيه هذا الموعد الانتخابي من أهميّة في بروز نخب محليّة جديدة وفي انطلاق مسار إرساء اللامركزية، فإنّه من الضروري ألّا يزيد في توتّر الجوّ السياسي العامّ وألّا يقلّص الاهتمام بالملفّين الاقتصادي والاجتماعي فينحسر الجهد الذي يتعيّن بذله لدفع نسق النموّ والنهوض بأوضاع التونسيين.

كما ينبغي ألّا تطغى الطموحات الشخصية والتجاذبات الحزبية على الأولويّات الوطنية في مجال العمل التنموي بأبعاده المختلفة خلال العام القادم فتعيش البلاد على إيقاع حملة انتخابية سابقة لأوانها، سنة قبل موعد الانتخابات التشريعية والرئاسية، ممّا من شأنه أن يعرقل مسار تحقيق الأهداف المرسومة لتجاوز الأزمة الراهنة. أليس لكلّ شيء زمان...وأليست الحكمة في تقديم الأهمّ على المهمّ ؟.

كـــلّ عـــام وأنـــتـــم بخـــيـــر

ع.ه

ليدرز العربية Leaders

مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير

احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللّطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضيافي • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر • المختار المستيسر • العادل كمّون• العادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية• عبد الدايم الصماري • حنان زبيس • خالد الشّابي • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحمد الشّارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صور
ليدرز حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقّني

التسويق والاتصال
جيهان واز • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
سامباكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم،
صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس
الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71
www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

الفهرس

الافتتاحيّة
• تقديم الأهمّ على المهمّ 1
عبد الحفيظ الهرقام

في الغلاف
• العرب تحت ضغط التّطبيع ووطأة صفقة القرن... 8
محمّد ابراهيم الحصايري
• نفـائـس الأرشيـف الوطنـي 12
عبد الحفيظ الهرقام وخالد الشّابي

شؤون وطنيّة
• النهضة في تحوّلاتها «المكـــتومة» 30
احميدة النّيفر
• الأسباب الموضوعيّة لفشل الثّورة التّونسيّة 32
الحبيب التّهامي
إسماعيل خليل: أعْظِمْ بـه مـن رجـل دولة وأكـْرِمْ به مـن وطنـيّ غيـور 36

مجتمع
• الاعتقـاد فـي التنجيـم ضربة لمعنى العقـلنـة 40
آمال موسى
• يوميّات مواطن عيّاش، خرج م المولد بـلاش عصيـدة! 42
عادل الأحمر

اقتصاد
• مع نضوب النفط وتضاؤل الغاز، الطاقات الجديدة تروي العطش الطاقي 44
بقلم رشيد خشانة

شؤون عربيّة
• قمّة مجلس التّعاون الثّامنة والثّلاثون 46
هل دخل مجلس التّعاون مرحلة الموت السّريري؟
عامر بوعزّة

شؤون دوليّة
• السعوديّة وإيران، الحرب المعلنة 48
حنان زبيس

ثقافة وفنون
• فنّ جلال بن عبد الله، سياحة طويلة على تخوم الواقع والأسطورة 56
علي اللواتي
• فيلم «الجايدة»، صفحة من نضال المرأة التونسية ضدّ الإذلال والاضطهاد 60
محمّد ناظم الوسلاتي

أعلام تونسيّون
• الدكتور صالح المهدي (1925 – 2014) «زريـاب» تـونـس 64
الشّاذلي القليبي

إصدارات
• طـريقـي إلى الـحـرّيّة، من سيرة العَلَم إلـى سيرة العِـلْم 68
الحبيب الدريدي
• قبس من الذّاكرة للنّوري بوشعّالة 74

بطاقة
• ذُبَـابة تسـيْ تسـيْ 76
الصّحبي الوهايبي

فجّرت الأزمة اللبنانية الأخيرة الصراع المعلن بين العربية السعودية وايران، صراع بدت ملامحه تتشكل على عديد الجبهات منها العراقية والسورية واليمنية. ولا يبدو أن السعودية تعمل بمفردها في هذه الحرب المفتوحة على إيران وإنّما تجد دعما لا محدودا من الولايات المتحدة التي ضاقت ذرعا بالتّمدّد الإيراني في المنطقة، خاصّة خلال الحرب على داعش..←

في التّاسع من نوفمبر الماضي ودّعت السّاحة الفنيّة المرحوم جلال بن عبد الله، أحد أشهر الرّسّامين التّونسيين عن سنّ ستّة وتسعين عاما تفرّغ خلالها لبناء رؤية خاصّة للحياة التّقليديّة ضمن مسار فنيّ بين الواقع والخيال. ←

بعد فترة غياب طويلة عن الساحة السينمائية، تعود سلمى بكار المخرجة المخضرمة والناشطة السياسية لتطلّ علينا بفيلم جديد من كتابتها وإخراجها، واصلت من خلاله رحلة البحث في تاريخ المرأة التونسية والانتهاكات الجسيمة التي تعرّضت إليها في فترة ما قبل الاستقلال وقبل صدور مجلة الأحوال الشخصية.←

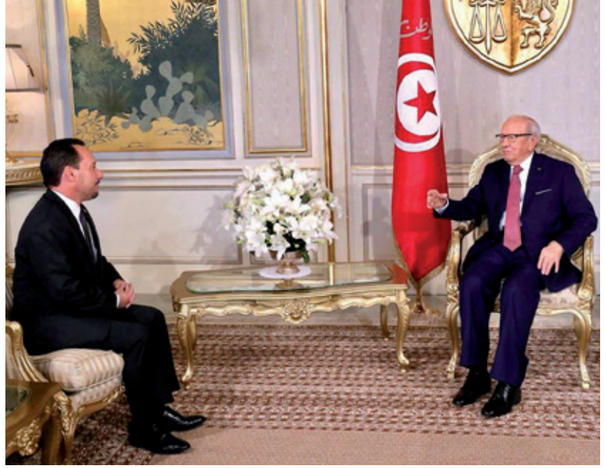

موقف رئاسي جريء ومشرّف

ببالغ التقدير وبكثير من الاستحسان قابلت الأوساط الشعبية والأحزاب والتيارات السياسية على مختلف توجّهاتها ومشاربها الموقف الثابت والمبدئي الذي عبّر عنه الرئيس الباجي قايد السبسي، باسم كلّ التونسيين، إثر إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب القدس عاصمة لإسرائيل وإعطائه الأمر لنقل سفارة بلاده من تل أبيب إلى هذه المدينة.
ففي مبادرة جريئة، قام رئيس الجمهورية باستدعاء السفير الأمريكي بتونس دانيال روبنستين ليبلغه موقف تونس الرافض لهذا القرار.

كما توجّه برسالة إلى الرئيس الفلسطيني محمود عبّاس استنكر فيها بشدّة هذا الإعلان أحادي الجانب، باعتباره «اعتداء سافرا على الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني واستهدافا لتطلّعاته المشروعة لنيل حريته واستقلاله، وخرقا صارخا لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة وتنكّرا للاتّفاقيات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي التي تمّت برعاية أمريكية والتي تقضي بأنّ وضع مدينة القدس يتمّ تقريره في مفاوضات الحلّ النهائي».

وأكّد رئيس الجمهورية ، من ناحية أخرى، التزام تونس الثابت « ببذل كلّ ما بوسعها مع الدول الشقيقة والصديقة من أجل حشد الدعم الدولي لإعادة القضية الفلسطينية إلى صدارة اهتمام المجموعة الدولية وانتزاع الاعتراف الكامل بحقّ الشعب الفلسطيني في بناء دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف».

وجدّد كذلك مساندة تونس «غير المشروطة للسلطة الفلسطينية فيما ستتّخذه من تدابير وإجراءات للدّفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني المناضل»، معربا عن اليقين «بأنّ إرادة أبناء فلسطين «شعب الجبّارين» ستنتصر في النهاية مهما اشتدّت الأزمات وتتالت المحن».

فلسطين في الدّورة الثانية لمواعيد قرطاج للتّاريخ

لئن تمحورت الدورة الأولى لمواعيد قرطاج للتّاريخ التي نظّمها في فيفري الماضي المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» حول المغرب العربي، فإنّ الدورة الثانية لهذه التظاهرة الفكرية الكبرى التي ستقام يومي 4 و5 جانفي 2018 ستسلّط الضوء من خلال موائد مستديرة على التاريخ الراهن لثلاث بلدان من الشرق الأوسط هي مصر وسوريا ولبنان، مع تخصيص مائدة مستديرة لفلسطين، تفاعلا مع تطوّرات القضية الفلسطينية ومسألة القدس، إثر قرار الرئيس دونالد ترامب نقل السفارة الأمريكية إلى هذه المدينة. ويشارك في تنظيم الدورة، إلى جانب بيت الحكمة، معهد العالم العربي والجامعة المفتوحة، في حين أوكلت مهمّة التنسيق إلى الدكتورة منيرة شابوتو الرمادي أستاذة التاريخ الوسيط بالجامعة التونسية ورئيسة قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية ببيت الحكمة والدكتور زين العابدين حمزة الشريف.

وممّا يميّز هذه الدورة التعريف بجامعيّين تونسيين، هما الأستاذ الشريف الفرجاني أستاذ الفلسفة والعلوم السياسية الذي سيشارك في المائدتين المستديرتين حول سوريا ولبنان والباحثة الأستاذة ليلى الدخلي التي ستقدّم مداخلة في المائدة المستديرة حول فلسطين إلى جانب الأستاذ أباهر السقّا (فلسطين). كما أنّ من ميزات هذه الدورة انفتاحها في يومها الثاني على الجامعة حيث ستحتضن قاعة صالح القرمادي بكليّة 9 أفريل جلسات علمية يحضرها الطلبة.

نـــدوة وزارية بإيطاليـــا حول التصـرّف في الهجـــرة المنظّمـــة

ستغتنم تونس فرصة انعقاد الندوة الوزارية حول التصرّف في الهجرة في فيفري القادم بإيطاليا لطرح مقاربتها لمسألة الهجرة التي ترى ضرورة عدم حصرها في الجانب الأمني. وسيسعى الوفد التونسي الذي من المنتظر أن يرأسه وزير الشؤون الخارجية إلى التوصّل إلى صيغة تعاون مع الجانب الإيطالي بشأن التصرّف المشترك في الهجرة المنظّمة، على غرار الاتفاق الحاصل مع فرنسا، خاصّة وأنّ إيطاليا قادرة على استيعاب كفاءات تونسيّة وعاطلين عن العمل من بين حاملي الشهائد العليا.

قـــريبا تقديم التقرير السنـــوي حـول حماية الطفـــولة

يعكف المندوب العام لحماية الطفولة مهيار حمّادي على إعداد التقرير الإحصائي السنوي لنشاط مندوبي حماية الطفولة الذي سيُقدَّم خلال الأسابيع القادمة، في إطار تكريس حقّ الطفل في الرعاية والحماية. ويتضمّن التقرير لسنة 2017 إحصائيات دقيقة حول وضعيات تهديد للطفولة تعهّد بها مندوبو حماية الطفولة في مختلف جهات البلاد.

تعـــزيز التـــعـــاون التونســـي - النيْجيـــري

تنعقد في منتصف شهر جانفي القادم الدورة الخامسة للجنة العليا التونسية-النيْجيرية بمدينة أبوجا.ويأتي انعقاد هذه الدورة تجسيما لإرادة مشتركة في تعزيز التعاون الثنائي وتوسيع مجالاته، حيث قام وزير خارجية نيجيريا بزيارة تونس في الأشهر الأخيرة، وهي الأولى التي يؤدّيها رئيس دبلوماسيّة هذا البلد، في حين تحرص تونس على تنمية علاقاتها، لا سيّما في المجالين الاقتصادي والتجاري، مع دول جنوب الساحل والصحراء ودعم حضور كفاءاتها ومنتوجاتها فيها، في إطار توجّه ثابت يرمي إلى تعميق بعد تونس الإفريقي.

كتاب عن المرحوم محمّد معلّى الزيتوني -السياسي -الإعلامي

صدر مؤخّرا عن دار «سيفاكس للنشر والتوزيع» كتاب جديد للشيخ الأستاذ محسن بن الطيّب الحبيّب خصّص لتوجيه تحيّة إلى روح خاله المرحوم محمّد بن محمّد معلّى ولإلقاء الضوء على مسيرة هذا الزيتوني الذي اهتمّ بالسياسة ومارس الكتابة الصحفيّة. وُلد محمّد معلّى بصفاقس سنة 1897 في أحضان عائلة عُرفت بحبّها للكتاب وتعاطي مهنة الكتبيين. التحق بالتعليم الزيتوني بالعاصمة وكذلك بالمدرسة الخلدونية وبمدرسة العطارين للترجمة والآداب فتلقّى بهما دروسا في مختلف فنون الآداب واللغة.

وما حصده من معارف متنوّعة رغّبه في الانتساب للصحافة والسياسة. وبعد أن نشر العديد من المقالات بالصحف التونسية كجريدة «الصواب» وجريدة «الوزير» أصبح ينشر في صحيفة «العصر الجديد» إثر تأسيسها مقالاته الوطنية حتّى أضحى رئيس تحريرها.وقد أوقفت السلطات الاستعمارية صدورها سنة 1924 بعد تسليط حكم بالسجن على رئيسها وعلى إثنين من صحافييها منهما محمّد معلّى، ورغم حفظ القضية في الاستئناف، لم تعد الجريدة للصدور إلّا سنة 1936.

العرب تحت ضغط التّطبيع ووطأة صفقة القرن...

«نحن وإسرائيل ننظر إلى المنطقة من منظور متشابه للغاية، الإسرائيليون لا يقتلون شعبنا، إيران والدولة الإسلاميّة يقومان بذلك»

مسؤول خليجي كبير

من أغرب المفارقات في هذا الزّمن العربي الرديء أن تقترن ذكرى إصدار وعد بلفور المئوية بعودة الحديث عن قرب إقدام عدد من الأنظمة العربية على التّطبيع مع إسرائيل، وعلى قبول ما سمّي بـ«صفقة القرن»...وقد تعدّدت في الأشهر القليلة الماضية المؤشرات على هذه النّزعة الخطيرة التي تكثّف التّرويج لها وتبريرها خاصّة بعد القمّة العربية الإسلامية الأمريكية التي انعقدت بالرياض في ماي 2017، والتي تزامن ظهورها مع جملة من التطورات الهامّة التي كان من أبرزها اندلاع الأزمة التي نشبت في الخامس من جوان 2017 بين الرباعي الخليجي المصري وبين دولة قطر. وقد جاءت هذه الأزمة لتزيد من تعقيد الأوضاع العربية المضطربة أصلا بسبب الصّراعات والحروب التي تعصف بالعديد من بلدان المنطقة خاصّة في العراق وسوريا وليبيا واليمن...←

• بقلم محمّد ابراهيم الحصايري

أما على الصّعيد الفلسطيني فإنّ استفحال سياسة الاستيطان الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، واستمرار الحصار الإسرائيلي والعربي الخانق المضروب منذ عشر سنوات على قطاع غزة، قَضَيَا أو يوشكان أن يَقْضِيَا على حلّ الدولتين إلى الأبد...والحقيقة أنّ النّزعة إلى التّطبيع لم تأت من فراغ، وإنّما أتت كثمرة مُرّة لتعمّق اختلال التوازن بين العرب وإسرائيل بشكل دراماتيكي غير مسبوق نتيجة للمتغيّرات التي عرفتها المنطقة خلال السنوات الماضية.

وتتمثّل هذه المتغيّرات خاصّة فيما يلي:

• احتلالُ العراق سنة 2003 بعد إنهاكه بسنوات طويلة من الحصار، وتفكيكُ دولته القوية والموحّدة، وذلك بهدف تركيعه وجعله «عبرة لمن يعتبر» من الأنظمة العربية التي باتت تخشى أن يحلّ بها ما حلّ بالنظام العراقي وبرئيسه صدام حسين.

• العملُ منذ أواسط العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين على تأجيج الصّراع الطّائفي والمناطقي في اليمن بهدف زعزعة كيان الدّولة، وتفكيك تركيبتها السياسية والاجتماعية، ثمّ إشعال نيران الحرب فيه وعليه بعد ما سمّي بثورات الربيع العربي وهو ما أدّى إلى ما يعانيه الآن من أوضاع مأساوية بسبب ويلات الحرب وشدائد الحصار المضروب عليه برّا وبحرا وجوّا...

• عدوانُ اسرائيل سنة 2006 بـ«مباركة» رسميّة من العديد من الأنظمة العربية، على لبنان بعد انسحاب الجيش السوري منه تحت الضّغط العربي والدولي الذي مورس على دمشق في أعقاب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري ومحاولات إلصاق تهمة اغتياله بسوريا وبحزب الله.

* «شيطنة» سوريا سياسيا وإعلاميا من أجل عزلها، والتّحريضُ عليها بسبب موقفها الممانع واحتضانها لمحور المقاومة، وعلاقات التّعاون التي تجمعها بإيران، ثم استهدافها، بعد هبوب رياح ما سمّي بالربيع العربي عليها، عسكريا و«إرهابيا»، وإشعال نار الفتنة والحرب فيها من أجل إسقاط نظامها وتفكيك دولتها وتقسيم شعبها...

• إيقاد ثورات ما سمّي بالربيع العربي أو على الأقل الركوب عليها واستغلالها في تشويه الواقع العربي برمّته، حيث أدّى حرف هذه الثورات عن الأهداف التي قامت من أجلها إلى تدمير كلّ من سوريا وليبيا واليمن بشكل يكاد يكون كليا، وإلى إخفات صوت مصر وإضعاف دورها كأكبر الدول العربية وأوسعها تأثيرا في المنطقة...

• زرع تنظيم «الدّولة الإسلامية في العراق والشام» وما شابهه من التنظيمات الإرهابية المتطرّفة التي لعبت وما تزال دورا خطيرا في تخريب العراق وسوريا وليبيا...

• التخطيط الآن لإشعال حرب جديدة تستهدف إيران ومحور المقاومة وفي مقدمته حزب الله اللبناني وذلك تحت غطاء طائفي سني شيعي، وبذريعة الحد من تنامي النفوذ الإيراني في المنطقة العربية.

وغني عن البيان أن جملة هذه المتغيرات التي ساهمت بعض الأنظمة العربية «القادرة والفاعلة» بالمال وأحيانا بالعدّة والعتاد في تحقيقها، وجّهت بوصلة العداء بعيدا عن إسرائيل، وحوّلتها صوب إيران بدلا منها، فمهّدت بذلك الأرضية الملائمة للتطبيع مع تل أبيب. وها نحن أولاء اليوم نقف على أعتاب حرب قد يتمّ شنّها على لبنان كتمهيد للحرب الأوسع والأشمل على إيران وعلى «الهلال الشيعي» الذي تُتَّهَمُ بأنها تعمل على تشكيله. وحتى تسبغ الدول المتّجهة إلى التّطبيع نوعا من الشّرعية على توجّهها فإنّها عادت إلى إحياء «مبادرة السّلام العربية» التي كان الملك عبد الله بن عبد العزيز طرحها في قمّة بيروت العربية عام 2002، والتي قابلها أرييل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك بالرفض المطلق. وللتّذكير فإنّ هذه المبادرة تقوم أساسا على حلّ الدولتين غير أنّ هذا الحلّ أصبح اليوم، وفقا لما أكّده رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس في خطابه الأخير أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، مستحيلا أو شبه مستحيل بسبب سياسة الاستيطان التي قضمت ما قضمت من الأراضي الفلسطينية المحتلّة حتّى مزّقتها إربا إربا. وبناء على ذلك فقد كان من الطّبيعي أن تطرح الولايات المتحدة الأمريكية وعلى رأسها دونالد ترامب رئيسها الذي سميته في إحدى مقالاتي بـ«تاجر واشنطن» فكرة «صفقة القرن» كحلّ للمعضلة الفلسطينية.

ومع أنّ أحدا لا يستطيع أن يجزم بما تعنيه هذه الصّفقة، فإنّ الملاحظين لا يتوقّعون، قياسا على سوابق واشنطن المنحازة إلى إسرائيل بشكل دائم وكلّي، أن تجود قريحة الرئيس دونالد ترامب بمشروع حلّ أفضل من مشاريع الحلول التي جادت بها قرائح أسلافه، بل إنّهم يرجّحون أن يقرّب المشروع الذي سيقترحه وسيحاول أن يفرضه على الفلسطينيين والعرب ساعة «تصفية القضية الفلسطينية»، وشطب فلسطين وشعبها من الخريطة الجيوسياسية للمنطقة. ومن المؤكّد في نظر الملاحظين أن التوجّه الى التّطبيع في الظّروف العربية الرّاهنة سيجعل الإدارة الأمريكية الحالية، وهي إدارة معروفة بعدائها الشديد للفلسطينيين، تمعن في محاولة فرض أكثر التّسويات جورا عليهم.

وربما يكون هذا ما يفسّر «التسوية» الجديدة التي بدأت إسرائيل التّرويج لها مؤخّرا، والتي تريد بمقتضاها أن يتمّ حلّ القضيّة الفلسطينية على أساس قيام دولة واحدة على قاعدة كونفديرالية، وليس على أساس دولتين مستقلّتين عن بعضهما البعض، ومن غير المستبعد أن تشكّل هذه «التسوية» العمود الفقري لـ«صفقة القرن» التي تتحدّث عنها الولايات المتحدة. ولعلّه من المنطقي في ظلّ كل ذلك أن يعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يوم الأربعاء 6 ديسمبر الجاري اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل السّفارة الأمريكية إليها كخطوة أولى على طريق تجسيم هذه «التّسوية». ويبدو انّ المملكة العربية السعودية صاحبة المبادرة العربية للسّلام تميل إلى التّهوين من الفرق بين

التسوية التي تقترحها مبادرتها وبين التسوية الجديدة التي تقترحها اسرائيل، وهي، على ما يظهر، مستعدّة للموافقة على هذه التسوية إذا وافق عليها الفلسطينيون، سواء من تلقاء أنفسهم، أو من خلال إغرائهم، أو بالضّغط عليهم...

ولعلّ ما جاء يوم الأحد 3 ديسمبر 2017 في صحيفة «نيويورك تايمز» حول ما سمّته «العرض» الذي قدّمه، قبل شهر، ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان للرئيس الفلسطيني محمود عباس بخصوص «مبادرة سلام جديدة تتضمّن اختيار ضاحية «أبو ديس» المجاورة لمدينة القدس المحتلّة لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية العتيدة بدلا من القدس الشرقية» يصبّ في نفس الاتّجاه، ويشكّل جزءا لا يتجزّأ من «صفقة القرن»...

وهنا ينبغي أن نلاحظ أنّ التّطبيع مع إسرائيل لم يعد مسألة مرتبطة بالقضية الفلسطينية وحدها وإنّما هو مرتبط بجملة من السياسات والمشاريع والخطط التي تهمّ المنطقة ككلّ والمملكة بوجه خاصّ، ويتعلّق الأمر خاصة بـ :

- تأكّد الحاجة المشتركة بين المملكة العربية السعودية وبين إسرائيل إلى مواجهة إيران، بالرّغم من أنّ أسباب عداء كل منهما لها مختلفة.
- اعتزام المملكة العربية السعودية وخاصّة ولي عهدها الجديد الأمير محمد بن سلمان، بعد استرجاع جزيرتي صنافير وتيران من مصر، إقامة مشروع مدينة المستقبل «نيوم» في إطار تطلّعات رؤية 2030 وهو ما سيتطلّب حتما التعامل بشكل أو بآخر مع إسرائيل في إنجاز هذا المشروع الضخم الذي تقدّر تكلفته بـ500 مليار دولار، ذلك أن امتلاك السعودية للجزيرتين يجعلها مجاورة لإسرائيل جغرافيا.

وإذا أضفنا جملة هذه الاعتبارات ذاتية الطابع إلى المتغيّرات الموضوعية التي شهدها العالم العربي خلال العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة، يمكننا القول إن الطّريق إلى التّطبيع أصبحت ممهّدة، وأنّ الواقع العربي السياسي والاقتصادي والعسكري والأمني أصبح مهيّئا لقبول مثل هذا التطوّر أو على الأقل لغضّ النّظر عنه...

وفي هذا الإطار تنبغي الإشارة إلى أن مسؤولين رفيعي المستوى في الإدارة الأمريكية أكّدوا مؤخرا أن «عدداً من الدول العربية سينفّذ خطوات تطبيع وبوادر حُسن نية تجاه إسرائيل»، وأن «المبعوث الأميركي الخّاص إلى الشّرق الأوسط جورج ميتشل نجح في الحصول على تعهّدات تتعلّق بمبادرات نيّة حسنة تجاه إسرائيل من جانب دول عربية كثيرة، وبينها مبادرات هامة وأخرى أقلّ أهمية».

ووفقا لنفس المسؤولين الأمركيين، فإن «قسماً من الدّول العربية وافق على فتح ممثّليات لإسرائيل في أراضيها، فيما وافق قسم آخر على منح تأشيرات دخول لرجال أعمال وسياح من إسرائيل. وسمح البعض بإنشاء خطوط اتّصالات هاتفية دوليّة مباشرة مع إسرائيل، إضافة إلى أنّ بعض الدول العربية قبل بعقد لقاءات علنية بمستوى رفيع مع مسؤولين حكوميين إسرائيليين، فيما وافقت دول عربية على السماح لطائرات إسرائيلية بالتّحليق في مجالاتها الجوية أو القيام برحلات جوية مباشرة من إسرائيل إلى مطاراتها»...وما يمكن استخلاصه مما تقدّم هو أنّ التّعاون بين العديد من الدول العربية و إسرائيل أصبح واقعًا، وأنّ إسرائيل لم تعد، بالنّسبة إليها، على رأس سلّم أولوياتها الأمنية.

غير أنّ الإقدام على التّطبيع مع إسرائيل يظلّ، بالرغم من كلّ ذلك، خطوة محفوفة بالمحاذير، ذلك أنّ بعض المستجدّات الإقليمية والدولية من شأنها أن تعكّر أجواء الانخراط في هذه النّزعة.

فممّا لا شك فيه أنّ استطالة أمد الحرب على اليمن، وثبات النظام السوري وانتصاره مع حلفائه على القوى التي عملت على الإطاحة به، والدور الذي لعبه «حزب الله» في دعم الجيش السوري، إضافة إلى عودة روسيا القوية إلى المنطقة... عوامل مستجدّة سيكون لها دورها في كبح جماح الأنظمة العربية المتّجهة نحو التّطبيع...

ثمّ إنّ هذه الأنظمة التي اعتادت ألاّ تعير كبير اهتمام لمواقف شعوبها من السياسات التي تنتهجها، ستكون بحاجة إلى أن تقرأ حسابا للتيارات المناهضة للتّطبيع لا سيما في هذه المرحلة المفعمة بالكثير من الاحتقان والإحباط، إذ من المتوقّع أن تتصدّى هذه التيارات لمشروع التطبيع مؤيَّدَةً في ذلك بما يعتمل في وجدان الشعوب العربية من مشاعر الاستنكاف، بالسليقة، من هذا المشروع.

وليس مؤتمرُ مقاومة التّطبيع في الخليج العربي الذي انعقد في الكويت بعد أيّام من قيام رئيس البرلمان الكويتي مرزوق الغانم بطرد الوفد الإسرائيلي من الجلسة الختامية لمؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي الملتئم في مدينة سانت بطرسبورغ في روسيا، إلاّ دليلا على ذلك، فلقد أكّد المؤتمر في خاتمة أعماله مساء يوم الجمعة 17 نوفمبر 2017 على ضرورة توحيد الجهود الشعبية للتصدي لعمليّة التّطبيع المتزايدة بين الأنظمة العربية والكيان الصهيوني بما فيها أنظمة دول مجلس التعاون الخليجي.

وإذا نجح الحراك الشعبي في لجم النزعة نحو التّطبيع، فإنّه سينجح في نفس الوقت، وعن قصد أو غير قصد، في إفشال المقاربة الجديدة التي يبدو أنّ إسرائيل وحلفاءها تريد، من هنا فصاعدا، اعتمادها في معالجة القضية الفلسطينية من خلال السعي إلى فرض معادلة الحل «من الخارج إلى الداخل» أي تطبيع العلاقات مع الدول العربية بهدف دفع عملية السلام مع الفلسطينيين، وذلك بدلا من معادلة الحلّ من «الدّاخل إلى الخارج» التي فشلت، كما يقول بنيامين نتنياهو، في إحداث الاختراق المنشود في الموقف الفلسطيني فلم تساعد، كما كانت إسرائيل تؤمّل، على بناء علاقات أفضل مع الدول العربية.

م.ا.ح.

نفـائس الأرشيـف الوطنـي

• إعداد عبد الحفيظ العرقام وخالد الشابي

■ عقد قران حمّودة باشا على المسمّاة آمنة بن عبد اللّه في 29 سبتمبر 1776

عندما يمرّ المرء من شارع 9 أفريل بالعاصمة ، يلحظ العدد الهامّ من مقرّات المؤسّسات الوطنية المشهورة التي تقع على جانبي هذا الشّارع ، فهذا مستشفى شارل نيكول وتلك اتّصالات تونس وذلك متحف التّربية وهذه محكمة التّعقيب وهناك كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ... لكنّه لا يخطر بباله ، وهو يمرّ مرّ الكرام على بناية شاهقة حديثة التشييد جميلة الهندسة والتّزويق تسندها دار الكتب الوطنية من جهة الغرب ، أنّه يجانب واحدة من أهمّ المؤسسات الوطنية التي تفخر بها البلاد، بما تحويه في طيات فضائها من نفائس الوثائق التاريخية للبلاد التونسية ولحفظها لذاكرة الشعب التونسي. إنها مقرّ الأرشيف الوطني التونسي .

انطلاقا من زيارة للمؤسسة تسنّى لنا إعداد هذا الملف الذي يبيّن طبيعة الدّور الموكول إليها ويسلّط الضوء على طرق تنظيم الأرشيف الوطني وسبل النّفاذ إليه، فضلا عن تقديم عيّنات من الوثائق النّفيسة التي يحتويها من ضمن ما يناهز 40 مليون وثيقة أنتجتها الإدارة التونسية عبر القرون.

ويقف هذا الرّصيد الأرشيفي الهائل دليلا ساطعا على تجذر تقاليد الدولة في تونس منذ العهد الحسيني واستمرارية كيانها حتّى في أحلك الفترات التي مرّت بها البلاد. كما يبرز في جانب منه ريادة تونس على الصعيدين التّشريعي والقانوني بفضل إنجازات عدد من بايات تونس المستنيرين والإسهامات الجليلة لروّاد الإصلاح في القرن التاسع عشر، وفي مقدّمتهم خير الدين باشا.

وقد ساعدنا في إنجاز هذا الملفّ مدير عام الأرشيف الوطني الأستاذ الهادي جلاب الذي لم يبخل علينا بالتّوضيحات والشروح التي طلبناها منه. ←

مـــا الأرشفـــــة ؟

تمثّل الأرشفة ورقيّة كانت أو رقميّة أو سمعيّة بصريّة في كل دولة مصدرا مهمّا وأساسيّا للمعلومات تسمح بفهم المـاضي وتوثيـق ما يجري في الحاضر وتوجّه إلى ما بقي القيام به في المستقبل . وهي الحافظة لذاكرة الشعوب الفردية والجماعية والبديل عن الذاكرة الانسانية الذي يصعب الاستغناء عنه لتعويض ذاكرة إنسانية محدودة وغير موضوعية ومعرّضة للفناء.

ويحدّد القانون التونسي الأرشيف (القانون عدد 95 لسنة 1988، المؤرّخ في 2 أوت 1988) على أنّه مجموع الوثائق التي أنشأها أو تحصّل عليها أثناء ممارسة نشاطه كلّ شخص طبيعي أو معنوي وكلّ مرفق عمومي أو هيئة عامّة أو خاصّة مهما كان تاريخ هذه الوثائق وشكلها ووعائها. والأرشيف العام يتبع ملك الدولة العام وهو غير قابل للتّفويت ولا لسقوط الحقّ فيه بمرورالزمن. وعلى هذا الأساس هو الخيط الناظم لتواصل الدولة واستمرار الإدارة.

إنشـاء الأرشيف التـونسي وتنظيمه

أشار السيد الهادي جلّاب إلى أنّ تاريخ تنظيم أرشيف الدولة التونسية يعود إلى سنة 1874 زمن الوزير الأكبر خير الدين التونسي (تولى الوزارة الكبرى بين 1873 و1877) بإنشاء هيكل يعنى بالأرشيف سمّي «خزنة حفظ مكاتيب الدولة» يتبع القسم الأوّل من الوزارة الكبرى وهو قسم يعنى بشؤون الأعمال والأوطان والعروش وإدارة تحرير المحاسبات.وأضاف أنّه تمّ بعد ذلك نقل محفوظات الدولة من ضاحية باردو مقرّ حكم البايات إلى «دار الباي» مقرّ الوزارة الكبرى، وكان حفظها بصورة منظّمة ، بذكر عنوان كلّ وثيقة ومكان خزنها بكلّ دقّة وتسجيل الملاحظات المتعلقة بالحالات الخاصّة التي تطرأ عليها.

وعن الدّور الذي لعبه خير الدين بعد إنشاء الأرشيف أكّد السيد الهادي جلّاب، أنه كان أوّل من احترم نظام الأرشيف هذا، وكان يطلب كتابيا من المسؤولين عن الأرشيف الوثائق التي يحتاجها فيعمله ويتعهد بارجاعها. ويعود له الفضل في حفظ وحماية وثائق نعتزّ بها وتثبت ريادة تونس في مجال الإصلاحات والتّنظيم الإداري مثل نصّ عهد الأمان ودستور 1861 وقرار أحمد باي الأوّل بإلغاء العبودية... وهذا يؤكّد حسب محدّثنا أنّ العناية بالأرشيف دليل على نضج الدولة وعلى عراقتها، فالأرشيف يضمّن فيه عمل هياكل الدولة وهو مقوّم من مقوّمات سيادتها لذا وجبت حمايته وحفظـه واستغـلاله وفـق ما ينصّ عليه القانون دون المساس بأمن الدولة والوطن والحياة الخاصّة للأشخاص. وأوضح أنّ مؤسّسة الأرشيف هي مؤسّسة عصرية تقوم بدورها الكلاسيكي وهو جمع الأرشيف التاريخي وحفظه ومعالجته ووصفه وتكشيفه ووضع البيانات حوله في منظومة معلوماتية وإتاحته للباحثين والمواطنين.وإضافة إلى ذلك ومنذ سنة 1988 أصبحت المؤسّسة تلعب دورا جديدا يتمثّل في مساعدة الهياكل العمومية منتجة الوثائق على حسن تنظيم وثائقها لضمان حسن التصرّف في الأرشيف الجاري والوسيط وحسن التصرف في المعلومة وهي مهمّة حديثة في تناول الأرشيف ظهرت خاصّة في أستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا .

ويصل اليوم عدد الوثائق التي يحفظها الأرشيف الوطني إلى ما يقارب 40 مليون وثيقة أنشأتها الإدارة التونسية خلال أداء مهامّها وإدارتها للشأن العام في مختلف المجالات السياسية والاتّصادية والاجتماعية والتربوية منذ القرن الخامس عشر وإلى اليوم، وهذا الرّقم في ازدياد مطّرد بفضل الترحيلات التي تقوم بها الوزارات والمرافق العمومية.

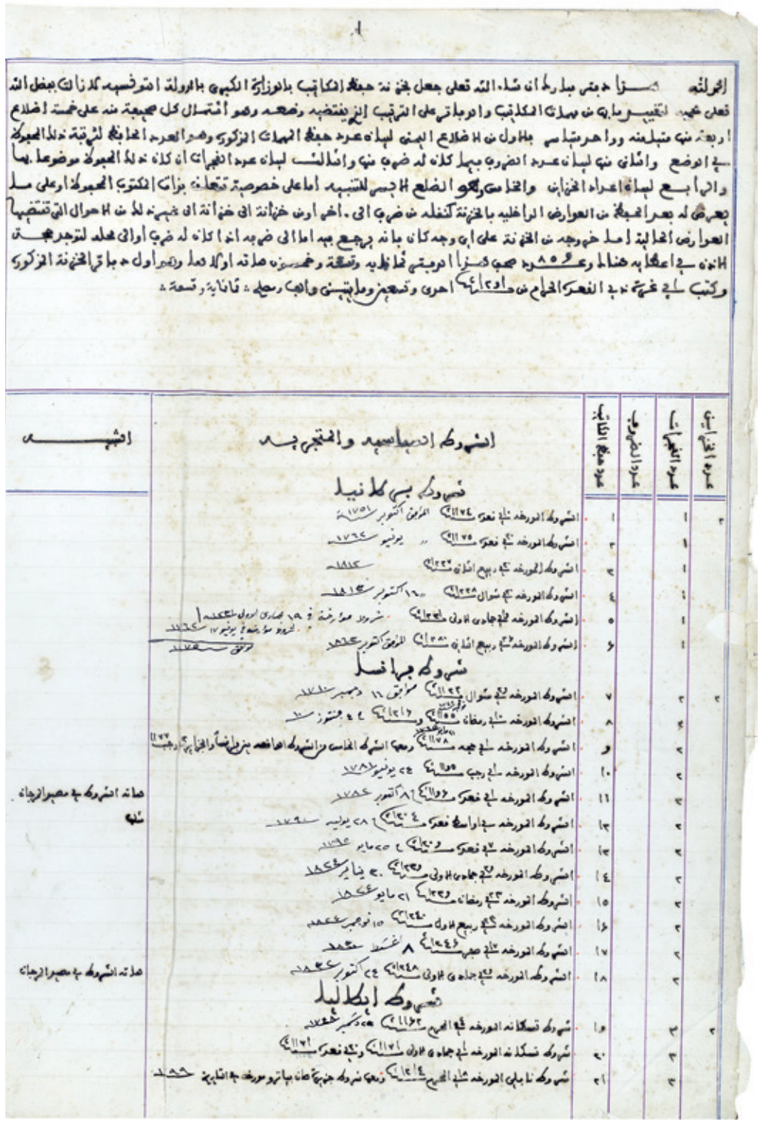

■ دفتر بتاريخ 9 ديسمبر 1874 في عهد خير الدّين باشا يتضمّن نظام استدلال على أماكن حفظ الوثائق

النّفاذ إلى الأرشيف

وحول من له الحقّ في النفاذ إلى الأرشيف أكّد السيد الهادي جلّاب أنّ القانون الذي ينظّم الأرشيف وضّح حقّ كل مواطن تونسي في النّفاذ إلى الوثائق المحفوظة بالأرشيف الوطني وأنّ إتاحة هذه الوثائق يخضع لأحكام الفصول 15و16 من القانون والتي تنصّ على إتاحة النّفاذ إلى الأرشيف بعد مرور 30 سنة . وترتفع هذه الآجال إلى 60 سنة بالنّسبة إلى الوثائق التي تحتوي على معطيات شخصية أو أمنية وكذلك الملفّات القضائية. وتصل هذه الآجال إلى 100 سنة بالنّسبة إلى دفاتر العدول ودفاتر الحالة المدنية وملفّات الموظّفين والملفّات الطبية (تحسب المدة بداية من تاريخ الميلاد). أمّا بالنسبة إلى الوثائق الإدارية النشطة والموجودة بالمصالح الإدارية للدولة فإنّ النّفاذ إليها يخضع لأحكام القانون الأساسي عدد 22 لسنة 2016 المؤرّخ في 24 مارس 2016 والمتعلّق بالحقّ في النّفاذ إلى المعلومة ما لم تكن مستثناة من النّفاذ على معنى هذا القانون.

انخراط الهياكل العمومية في نظام الأرشيف

أكّد المدير العام للأرشيف الوطني انخراط كل الوزارات بدون استثناء في النظام الوطني للوثائق والأرشيف وقد صاغت أدوات لذلك بعد دراستها والموافقة عليها من قبل الأرشيف الوطني ، فتعدّ كل وزارة قائمة اسمية في الوثائق التي تنشئها وتحصيها ويتمّ تداولها وهي نوعان:الوثائق المشتركة بين الوزارات والوثائق الخاصّة بكلّ وزارة ويتمّ تحديد مدد الأرشيف وكيفية التصرف فيه في جداول مدد استبقاء الوثائق ونظم التصنيف بالنّسبة إلى كلّ وزارة وبالنّسبة إلى الوثائق المشتركة بين الوزارات والمؤسّسات العمومية وتنشر في الرائد الرسمي للجمهورية التونسية. كما ترحّل الوزارات الوثائق التاريخيّة التي لم تعد في حاجة إليها إلى المقرّ الخاصّ بها في الأرشيف الوطني يسمّى الأرشيف الانتقالي أو الوسيط.. ورغم أنّ بعض الصّعـوبـات

لا تزال قائمة بخصوص ظروف الخزن أو نظام التّصنيف فإنّ جداول الآجال تطبّق بصورة جيّدة وكذلك الإتلاف الذي يتمّ بصورة عادية وبتطبيق صارم للقانون وكذلك التّرحيل يتمّ بنفس الصرامة .

الأرشيف التونسي في الخارج

بخصوص مساعي المؤسسة لجلب الأرشيف التونسي في الخارج قال السيد الهادي جلّاب: في الواقع السّعي إلى جلب هذا الأرشيف أو على الأقل نسخ منه بدأ منذ ثمانينات القرن العشرين خاصّة مع فرنسا وتمّ جلب ما يقارب 3500 بكرة Microfilm من الوثائق المصوّرة أي ما يقارب نصف مليون وثيقة تهمّ تاريخ تونس ويتمّ الآن الإطّلاع عليها بالمعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر بجامعة منوبة وتحفظ البكرات الأمّ بالأرشيف الوطني، علما أنّ الجانب التونسي المفاوض على الاستقلال الداخلي غفل عن المطالبة بالأرشيف . كما تمّ جلب مجموعة من الوثائق الرّقمية من الأرشيف الإسباني وهناك آلاف الوثائق محفوظة في الأرشيف الوطني تهمّ العلاقات التونسية الإسبانية في الفترة الحديثة . وتتواصل المساعي مع دول أخرى علما أنّ تونس هي أوّل بلد بدأ في جلب نسخ من الوثائق التي تهمّه من أرشيفات خارجية .

وعن الوثائق التي تهمّ تونس في عهد الامبراطورية العثمانية أكّد أنّه لا توجد في الأرشيف إلا 1500 وثيقة مكتوبة باللغة العصمانلية .

إشعاع التّجربة التونسية في مجال الأرشيف وعن مدى إشعاع النّجاح التونسي في مجال الأرشيف خارجيًّا، أكّد السيد الهادي جلّاب أنّ نجاح تونس في تنظيم الوثائق بالإدارة منذ ما يقارب قرنا ونصف القرن جعل بلادنا تبني أرشيفا ثريّا ومنظّما. وقد ارتفع عدد الباحثين الأجانب المهتمّين بهذا الأرشيف مثل الجزائريين والليبيين باعتبار الفترات التي قضّوها بتونس هربا من الاستعمارين الإيطالي والفرنسي أو انتسابهم إلى المؤسسات التعليمية بتونس مثل الزيتونة. كما نجد باحثين أفارقة وأوروبيين باعتبار وجود وثائق تهمّ منظمة الوحدة الإفريقية والأمم المتحدة أو المتوسّط وبلدان أوروبية. والجدير بالذّكر أنّ إطلاع الأجانب على أرشيفنا يخضع لإجراءات أهمّها تقديم طلب تتمّ دراسته والردّ عليه.

حماية الأرشيف

ونظـــرا إلى أنّه مـــن البديهي حمـــاية هـــذه الذّخيرة الوثـــائقية مـــن كلّ المخـــاطر أكّـــد السيـــد الهادي جلّاب أنّ سبل الحماية تكون بتوفير ظروف حفظ ملائمة حسب المواصفات العالمية المعتمدة في المجال من ناحية المبنى (الحرارة، الرطوبة، الإضاءة....) وكذلك الحماية من المخاطر الممكنة كالسّرقة والحرائق والخلع والفيضانات وغيرها من المخاطر التي يمكن أن يتعرّض لها الأرشيف.ولاحظنا أنّ مقرّ الأرشيف الوطني محمي بعدد هامّ من كاميرات المراقبة.

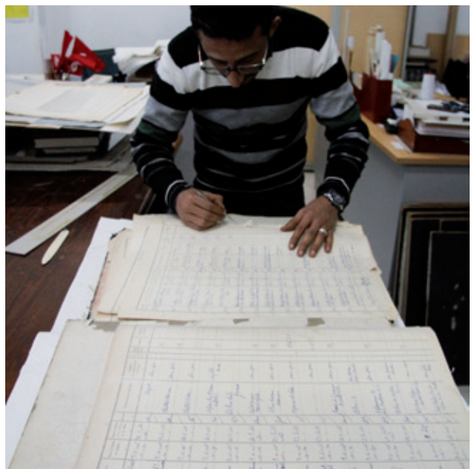

المرحوم المنصف الفخفاخ
باني مؤسّسة الأرشيف العصرية

لا يمكن الحديث عن الأرشيف في تونس ومسار تحديثه دون أن نذكر بوافر الامتنان من كان له كبير الفضل في إقامة مؤسّسة عصرية لحفظ الذاكرة الوطنية ونقصد المرحوم المنصف الفخفاخ (07 ماي -1947 30 أوت 2017) الذي تولّى مهامّ مصلحة الأرشيف العام للحكومةً بعد أن أصبح أستاذا لعلم الأرشيف بالمعهد العالي للتوثيق، حاملا لشهادة دكتورا حول الدفاتر الإدارية والجبائية.

وبنجاعة لافتة ومنهجية علمية صارمة وعقلانية ناجزة بنى المنصف الفخفاخ في سنوات قليلة نظاما وطنيا متكاملا للتصرّف في الوثائق العمومية والأرشيف فصدر القانون في 2 أوت من سنة 1988 ثم تلته أوامر تطبيقية وقرارات ومناشير فأصبحت لتونس مدوّنة قانونية وترتيبية متكاملة بما فيها نظام أساسي للمهنيين .وبناء على ذلك أحدثت مؤسّسة الأرشيف الوطني وأحدثت هياكل الأرشيف بالوزارات والمرافق العمومية و تمّ مدّ تلك الهياكل بالإطارات الكُفأة من خرّيجي المعهد العالي للتوثيق وكان الفقيد وراء إحداث مرحلة تكوين المتصرّفين في الوثائق والأرشيف في أواسط تسعينات القرن العشرين ومرحلة تكوين متصرّفين مستشارين في بداية سنوات الألفين.

وبداية من سنة 2000 تمّ إقرار برنامج وطني لانتداب المختصّين مكّن من توفير 1600مختصّ لمختلف هياكل الدولة ، بعد أن كان عددهم يعدّ بالعشرات.

وعلى مدى ستّ سنوات جرى العمل على استكمال النظام بإعداد أدوات التصرّف في الوثائق والأرشيف.

وعلى مستوى مؤسّسة الأرشيف الوطني تمّ إنجاز المخطّط المديري للإعلامية وتطوير موقع واب ومنظومة مندمجة للتصرّف في الوثائق العمومية والأرشيف والكتب. ولم يهمل المنصف الفخفاخ أرشيف الوزارات فأنجز مبنى للأرشيف الانتقالي لفائدتها. وبالتوازي مع عمله بمؤسّسة الأرشيف الوطني واصل التدريس بالمعهد العالي للتوثيق وتخرّجت على يديه خيرة الكفاءات في هذا المجال وحتّى بعد مغادرته المؤسسة ظلّ حريصا على تطويرها فكان وراء إنجاز مخبر متعدّد الاختصاصات بها للنهوض بالتكوين في مجال الوثائق والأرشيف.

ترك المنصف الفخفاخ عند مغادرته المؤسسة في ماي 2006 للعمل بسلطنة عمان رصيدا أرشيفيا تاريخيا يتكوّن من 50 ألف حافظة، وها هو اليوم يتجاوز 250 ألف حافظة بفضل النظام العصري الذي أرساه في مؤسّسة هدفها وشعارها «حفظ ذاكرة الشعب».

وبخـــصـــوص حمـــايـــة الأرشيـــف بعـــد 14 جانفي 2011 أشار محدّثنا إلى أنّ الأرشيف الرّسمي في تونس لم يصب بأذى بعد الثّورة . وأكّد أنّ الأرشيف الوطني قام بمجهود استثنائي بجمع وحماية الأرشيف المهدّد بعد الثّورة مثل أرشيف التجمّع الدستوري الديمقراطي ومجلس المستشارين والمجلس الاقتصادي والاجتمـــاعي ودار العمل ووكالة الاتّصال الخـــارجي ووزارة الإعلام.

الأرشيف الخاصّ يثري الرّصيد الوطني

وبشأن قسط الأرشيف الخاصّ في ما يجمعه الأرشيف الوطني قال السيد الهادي جلّاب:

■ رسالة موجّهة إلى المصلح الطّاهر الحدّاد من جامعة عموم العملة التّونسيّة

لايجب أن ننسى أنّ الأرشيف العمومي ليس المصدر الوحيد لبناء الذّاكرة وكتابة التّاريخ بل هناك مصادر أخرى مثل التّاريخ الشفوي والأرشيف الخاصّ الذي يمثّل مصدرا من مصادرالمعلومات، وهو مصدر مكمّل للأرشيف العام ... وقد أسند القانون عدد 95 لسنة 1988، المؤرخ في 2 أوت 1988 لمؤسّسة الأرشيف الوطني مهمّة الحصول على الأرشيف الخاصّ وحفظه ووضعه على ذمّة المستفيدين. وقد بدأت مساعي جمعه منذ ما يقارب 20 سنة وقد أمكن جمع أرصدة هامة تعود لشخصيات أو جمعيات ومنظّمات يمكن ذكر بعضها : محمد عابد مزالي،أبوالقاسم محمد كرّو، عبد الجليل التميمي ،قلاديس عدّة، حسن القلاتي محمد كمال الشعبوني، سهير بلحسن، كمال بن ناجي، بوخاري بوصلاح، محسن الرّايس، محمد المنجي بنيعيش، عزالدين عزّوز، Geneviève Bédoucha، عبد الوهاب الدخلي، فاروق بن ميلاد، عبد الكريم قابوس، جورج عدّة، محمد المنذر بالرحال، محمد الصالح التومي، عمر الغنوشي، أحمدعثماني، سيمون للّوش، الحبيب قرفال، مرشد الشابّي، نورة البورصالي، حسين رؤوف حمزة وأيضا جمعية آفاق، الاتحاد العام لطلبة تونس، معهد البحوث والتنمية وجمعية قدماء المدرسة الصادقية...

أمّا بخصوص أرشيف المؤسّسات الخاصّة والمنّظمات الوطنية والجمعيات، فإنّ الأرشيف الوطني ليس لديه نصّ قانوني يسمح له بتوثيق أرشيفها وحفظه. ولعلّه حان الوقت لإصدار قانون في الغرض مما سيسمح بحفظ وثائق مهمّة مثل ذاكرة الحركة النقابية والعمالية في تونس وذاكرة نشاط منظّمة الأعراف وذاكرة الاتّحادات المهنية كاتّحاد الفلاحين وذاكرة العمادات المهنية وغيرها، علما أنّ الكشّافة التونسية سلّمت أرشيفها إلى الأرشيف الوطني (1200 وعاء).

من المحامل الورقية إلى المحامل الرّقمية

يهتمّ الأرشيف التونسي حسب قانون 1988 بكلّ وثيقة تحمل معلومات مهما كان شكلها ووعاؤها وتاريخها . لذلك تعتبر

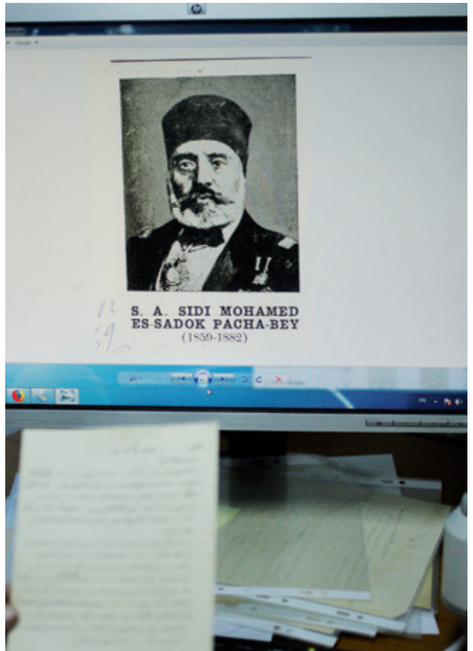

المحامل الرقمية والسمعية البصرية أيضا أرشيفا ويجب جمع هذا الأرشيف وحفظه وإتاحته للعموم . وهنا أشار السيد الهادي جلّاب إلى أنّ مؤسسة الأرشيف الوطني انطلقت في هذا التوجّه، حيث تمّ إنشاء إدارة للوثائق السمعية البصرية والإلكترونية، وقد بدأت في جمع هذا الأرشيف ومعالجته. ويبقى السؤال المطروح هنا : هل تستجيب المؤسّسات السمعية البصرية العمومية لما تستجيب له المؤسّسات العمومية بخصوص مدّ الأرشيف الوطني بأرشيفها أم أنّ أمر الحفاظ على رصيدها الأرشيفي موكول إليها بصفة حصرية ؟

الهـــادي جـــــلّاب

سعي دؤوب للنهوض بقطاع الأرشيف وحفظ الذّاكرة الوطنية

من القطاعات التي كانت مهدّدة في كيانها بانتشار الفوضى والانفلات الأمني إثر اندلاع ثورة 14 جانفي 2011 قطاع الأرشيف وقد كثر الحديث آنذاك عن عمليات حرق وإتلاف لملفّات ووثائق في عدد من الوزارات والمنشآت العمومية والمحاكم والقباضات المالية... فكان على الحكومة أن تبادر باتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون تفشّي هذه الظاهرة وتوفير كلّ ظروف السلامة لحفظ الرصيد الأرشيفي للدولة الذي تمثّل مؤسّسة الأرشيف الوطني الجهاز الرئيسي المؤتمن عليه.

في تلك الظّرفية الدّقيقة، وجدت حكومة الباجي قايد السبسي، الوزير الأول، في الأستاذ الهادي جلّاب الرّجل المناسب لتولّي مهامّ الإدارة العامّة للأرشيف الوطني، وقد كان عاد للتوّ من سلطنة عمان حيث درّس بكليّة الشرق الأوسط لتكنولوجيا المعلومات التاريخ وعلم الأرشيف من 2010 إلى 2011. كانت تسمية هذا الأستاذ الجامعي الحاصل على الدكتورا في التاريخ المعاصر سنة 1990 والباحث السابق بالمعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية من 1990 إلى 1999 بمثابة عودة الابن البارّ إلى الدار التي شغل فيها لمدة إحدى عشر سنة خطّة رئيس التفقدية فجمعته بالمرحوم المنصف الفخفاخ، المدير العام، مغامرة رائعة وتجربة فريدة الغاية منهما إقامة صرح مؤسّسة عصرية لحفظ الذّاكرة الوطنية وبناء نظام عصري للتصرّف في الوثائق والأرشيف.

وما فتئ الأستاذ الهادي جلّاب منذ أن استلم الأمانة يعمل بشغف كبير وعزم لا يلين لتنمية الرصيد الأرشيفي الوطني وتثمين ما يحتويه من درر ونفائس، فاتحا أبواب المؤسّسة للباحثين الرّاغبين في الاطّلاع عليها لإنجاز أعمالهم العلمية، رابطا الماضي بالحاضر من خلال مجلّة قيّمة عنوانها «أرشيف- تاريخ» تلقي أضواء كاشفة على جملة من الوثائق المهمّة، بالإضافة إلى احتضان لقاءات وندوات تتناول صفحات من تاريخ تونس، ففتح أمام الجمهور العريض سبل إدراك أبعاد الوظائف الهامّة التي تضطلع بها هذه المؤسّسة الوطنية.

وبمناسبة اليوم الوطني للأرشيف، منح رئيس الجمهورية الباجي قايد السبسي يوم 09 ديسمبر 2016 الأستاذ الهادي جلّاب الصنف الثاني من وسام الجمهورية «تقديرا لمساهمته بكفاءة وإخلاص في النّهوض بقطاع الأرشيف وحفظ الذّاكرة الوطنية وتوثيقها».

الرّائد التّونسي
من أهمّ الوثائق في الأرشيف الوطني

تزخر مؤسّسة الأرشيف الوطني برصيد أرشيفي ثريّ يعكس حصيلة عدّة قرون من عمل الدولة التونسية وعلاقاتها الخارجية. ومن بين هذه الوثائق أمر إلغاء العبودية الصادر بتاريخ 23 جانفي 1846، والذي يؤكّد أنّ تونس هي أوّل بلد عربي وإسلامي يلغي العبودية ، وكذلك قانون عهد الأمان الصادر في 9 ديسمبر 1857 وهو أوّل نصّ يمنح السكّان التونسيين حقوقهم الأساسيّة في الأمن على أرواحهم وأملاكهم وأعراضهم .

وتحتوي مؤسّسة الأرشيف الوطني أيضا على وثائق تهمّ انتفاضة علي بن غذاهم، من بينها وثيقة تتضمّن مطالب الثوّار موجّهة إلى محمد الصادق باي وهي تعود إلى سنة 1864.

كما تحفظ النّسخ الأصلية لدساتير البلاد التونسية، بدءا من دستور 1861 الذي يعدّ أول دستور عصري في البلاد العربية الإسلامية يكرّس الفصل بين السلط ويحدّ من سلطة الباي، وكذلك دستور 1959 ودستور 2014، هذا بالإضافة إلى جملة من المعاهدات والاتفاقيات التي تعكس عراقة العلاقات الخارجية للبلاد التونسية مع عدّة دول أوروبية وأمريكية والتي يعود بعضها إلى القرن السابع عشر.

ويتوفّر بالمؤسسة رصيد هام من الدفاتر الإدارية والجبائية تتمثّل في دفاتر مداخيل الدولة ودفاتر استخلاص المجبى ودفاتر الصرّة، والمعاريض... ومن بين أهمّ الدفاتر المحفوظة بالمؤسسة، الدفتر الذي يمثّل نتاج أوّل عملية إحصاء وجرد وتنظيم لوثائق الدولة التونسية بخزنة حفظ مكاتيب الدولة في فترة الوزير المصلح خير الدين والذي يعود تاريخه إلى سنة 1874.

وعلاوة على ذلك، يوجد بالأرشيف الوطني رصيد الرائد التونسي، أوّل جريدة رسميّة بالبلاد التونسية صدرت سنة 1860. وقد نشرت بها النصوص والأوامر التأسيسية والتنظيمية كقانون ترتيب بلدية تونس سنة 1858 وقانون السجون سنة 1874 وأمر إحداث المدرسة الصادقية سنة 1875 وغيرها من النصوص المنظّمة لهياكل الدولة والمؤسسة للحداثة في تونس ...

الرائد التونسي

■ العدد الأوّل من الرّائد التونسي الصّادر في 1 جويلية 1860

وبخزينة الأرشيف كذلك نصّ معاهدة الحماية المؤرّخة في 12 ماي 1881 ونصّ معاهدة المرسى المؤرّخة في 8 جوان 1883 وبروتوكول إعلان الاستقلال المؤرّخ في 20 مارس 1956... وهناك من الوثائق ما هو استثنائي وطريف.

■ مصادقة مشائخ تونس على قرار إلغاء العبوديّة

قرار إلغاء العبودية في تونس

من أهمّ الوثائق المضمّنة في الأرشيف الوطني نصّ قرار إلغاء العبودية الذي اتّخذه أحمد باي في 26 جانفي سنة 1846 إذ يعتبره المؤرّخون أحد أبرز الإصلاحات الاجتماعية التّي كرّست ريادة تونس على الصعيدين العربي والإسلامي من حيث تبنّي قيم الحداثة. فهو قرار تقدمي رائد مقارنة بعصره ففرنسا مثلا لم تلغ العبودية إلاّ سنة 1848، في حين أنّ الولايات المتحدة ألغتها سنة 1865 . لذلك يقول ابن أبي الضياف في الإتحاف إنّ هذا القرار لقي صدى كبيرا لدى «أمم الحرية» وأساسا في أنقلترا ...

ويذكر المؤرّخون أنّ اقتناع الباي بضرورة إلغاء العبودية يعود أوّلا إلى «ميله إلى الحضارة التي أساسها الحرية» كما ذكر ابن أبي الضياف في الإتحاف « ولأنّه ثانيا لم يكن يمارسها في بلاطه وثالثا لتأثّره بالحملة التي تزعّمتها بريطانيا منذ سنة 1839 لإلغاء الرقّ.

والملاحظ أنّ أحمد باي خيّر التدرّج في إلغاء العبودية ففي سنة 1941 أصدر أمرا بمنع بيع العبيد في كل أسواق البلاد وألغى الأداء الذي كان موظّفا على هذه التّجارة وفي 1842 أقرّ الحرية لأبناء العبيد المولودين في الإيالة .. ولم يصدر القرار عام 1846 إلاّ بعد أن صادق عليه كلّ من الباش مفتي الحنفي محمد بيرم والشيخ المالكي إبراهيم الرياحي باعتبار أنّ القرار يتماشى مع الشّريعة.

ورغم أنّ مؤسّسة العبودية في تونس منحصرة لدى الأعيان ورجال البلاط وحتّى لدى فئات من العامّة وترتكز في مناطق معيّنة، إلا أنّ المؤرخين يؤكّدون أنّ المجتمع المحلّي التونسي كان رافضا للعبودية بطبعه وحتّى الممارسين للعبودية كانوا يعتقون العبيد بمناسبة موت أحد أفراد الأسرة أو الولادة أو الزّواج أو في المناسبات الدينية.

رسم معاوضة

أقدم وثيقة في الأرشيف الوطني

تعود أقدم وثيقة محفوظة بالأرشيف الوطني إلى الأوّل من شوّال سنة 833 هـ/23 ماي 1430 م وقد رُحّلت ضمن وثائق من وزارة أملاك الدولة سنة 2012.

وتمثّل الوثيقة رسم معاوضة لمخزن من أحباس الفقراء بمدينة صفاقس بحانوت كان مخصّصا لتعاطي حرفة الحياكة. وتُوضّح السيدة مروى الهنشيري (الأرشيف الوطني) أنّ الوثيقة تعتبر شهادة على تاريخية ظاهرة التحبيس بتونس وعلى كونها كانت متجذّرة في البيئة المحلية قبل قدوم العثمانيين إلى البلاد، حيث أنّ الوثيقة تؤرّخ لفترة سبقت ذلك بأكثر من مائة وأربعين سنة.

وهذا يدحض، في نظرها، التصوُّر السائد في بعض الأوساط والذي يربط غالبا ظاهرة التحبيس بالحضور العثماني في تونس.

وفي مقال لها نشر في مجلّة الأرشيف الوطني (أرشيف-تاريخ، العدد الثاني والثالث، 2016-2017، وحدة البحث 2016) بيّنت السيدة مروى الهنشيري أنّ عملية المعاوضة شكّلت في الحقيقة أحدى الحلول الفقهية التي مكّنت من تجاوز سلبية كبرى من سلبيات التّحبيس وهي تجمّد الوضعية العقّارية للمحبّس.

■ تعود أقدم وثيقة إلى 23 ماي 1430 م

دفتر لإثبات تسليم «الصرّة» إلى مستحقّيها بمكّة والمدينة

من الوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني دفتر يعود تاريخه إلى سنة 1887 في عهد علي باي الثالث وتتضمّن صفحاته أختاما بأسماء ممّن وزّعت عليهم مساعدات ماليّة في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة خلال موسم الحجّ لتلك السنة مع ذكر المبلغ الممنوح لكلّ شخص، وذلك لإثبات تسليم هذه المساعدات للمنتفعين بها، ولتبرئة ذمّة من تولّى توزيعها، ممّا يؤكّد اتّباع القواعد الإدارية السليمة بالدولة التونسية عصرئذ. وتسمّى هذه المساعدات بـ«الصرّة» وقد أنشئ لها وقف خاصّ يُعرف بـ» وقف الحرمين». وكان الباياتِ الحسينيون يختارون أفضل العلماء ووجهاء القوم لإيصالها لمستحقّيها. ويودّع ركب الصرّة في موكب بهيج يحضره الباي والوزراء ورجال الدولة وكبار موظّفي الأوقاف ومن ضمنهم وكيل وقف الحرمين الشريفين وبيده الصندوق الذي يحتوي المال الموجّه إلى الحجاز.

■ اختام بأسماء المنتفعين بالمساعدات الماليّة في المدينة المنوّرة

النّسخــة الأصلية لعهد الأمــان

تعتبر وثيقة عهد الأمان مفخرة أخرى من مفاخر تونس الحديثة التي يحتفظ الأرشيف الوطني بالنسخة الأصلية منها بخط ابن أبي الضياف، كما يحتفظ بنسخة بالمطبعة الحجرية . وعهد الأمان هو عبارة عن دستور مصغّر يتضمّن 11 فصلا ومقدّمة.

وقد ارتبط إصدار قانون عهد الأمان ببعض العوامل أوّلها ضغط الباب العالي على الباي منذ سنة 1840 لتبنّي قانون «التنظيمات العثمانية» الذي يكرّس مبادئ العدل والحرية داخل الإمبراطورية وتطبيقه في تونس . وتواصل الضّغط العثماني عندما ألحّ الصّدر الأعظم مصطفى رشيد باشا على أحمد باي سنة 1842 بأن يمضي قانون « التنظيمات الخيرية « باعتبار أنّ الباي يتصرّف دون قانون شرعي أو سياسي. كما جاء الضّغط من كلّ من فرنسا وأنقلترا بما أنّهما أرغما الباي تحت التّهديد باللجوء إلى القوّة العسكرية على إعلان هذا القانون وإجراء إصلاحات على غرار التنظيمات العثمانية مستغلّين حادثة اليهودي « باطو سفز «الذي أدّعي عليه أنّه شتم مسلما وسبّ دينه وقد كان في حالة سكر وحكم عليه بالاعدام. وقد أثّمر هذا الضغط إقرار عهد الأمان ثمّ إعلانه في 9 سبتمبر سنة 1857 وهو قانون مستوحى من القوانين العثمانية يتضمّن جملة من الإصلاحات شملت المجالات التالية :

المجال القضائي : الأمان على الأرواح والأملاك والمساواة بين السكان أمام العدالة وإحداث محاكم مختلطة للتجارة المجال الجبائي : تقييد الجباية بقانون وإقرار مبدإ المساواة أمامها المجال العسكري: تنظيم الخدمة العسكرية مع المساواة بين الأهالي في أدائها، المجال الاقتصادي : جملة من الحريات الاقتصادية بالنّسبة للأجانب والأقليّات أساسا، وهكذا حدّ عهد الأمان من الحكم المطلق للباي وضمن للسكان جملة من الحقوق وأقرّ مبدأ المساواة أمام القانون.

ولتطبيق ذلك على الميدان تأسّست أوّل بلدية سنة 1857 هي بلدية تونس وبعثت لجنة لإعداد قانون التّجنيد مع إقرار مبدإ القرعة وأصبح للأقليات الحقّ في الملكية ... وسيكون هذا القانون أساسا لدستور سنة 1861 وهو أوّل دستور في العالم العربي الإسلامي.

■ عهد الأمان بخطّ يد ابن أبي الضّياف

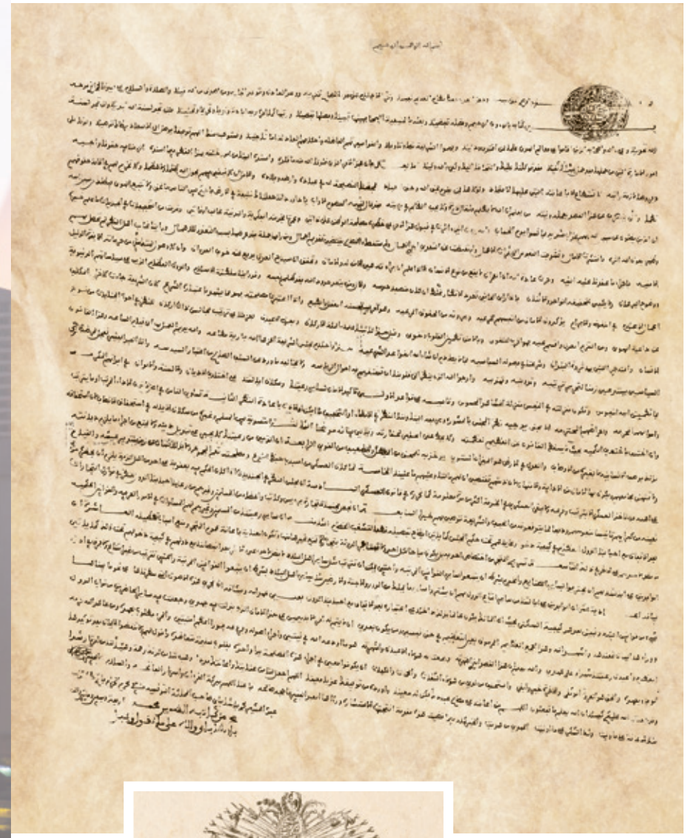

■ نسخة الطّبعة الحجريّة لعهد الأمان

فرمان يثمّن مشاركة الجيش التـــونسي في حرب القرم

اندلعت حرب القرم بين الإمبراطورية الروسية من ناحية والإمبراطورية العثمانية من ناحية أخرى (بدعم من فرنسا وأنقلترا وإيطاليا) بتاريخ 28 مارس 1853 وانتهت في 30 مارس 1856 وكانت جزيرة القرم مسرحا لتلك الحرب. وبأمر من أحمد باي شاركت تونس في هذه الحرب بجيش قوامه 15 ألف جندي يقوده الجنرال رشيد وتدعّمه سفن حربية هجومية كانت جميعها من صنع تونسي . وكان الهدف الأساسي لأحمد باي من هذه المشاركة استعراض جيشه الجديد أمام الفرنسيين وإبراز قوّته وقدرته على الدفاع عن البلاد في حال تمادت أطماع فرنسا وأرادت احتلال تونس كما فعلت مع الجزائر سنة 1830 . وورد على باي تونس فرمان من الباب العالي محفوظ بالأرشيف الوطني يثمّن المشاركة التونسية في حرب القرم.

ويذكر المؤرّخون روايتين لتفسير بقاء جزء من الجيش التونسي في تركيا فهناك رواية تقول بأنّ كتيبة من الجنود انعزلت عن باق الجيش التونسي في أقصى شمال تركيا في المرتفعات الجبلية وضاعت في الجبل والغابات وأغلقت عليهم الثلوج المنافذ وفقدوا طريق العودة فبنوا الأكواخ على ارتفاع حوالي 1200 متر في ولاية قسطموني وسكنوها واستوطنوا هناك وتزوّجوا من سكّان الجبل وصارت تلك القرية تدعى تونسلار أي قرية التوانسة . أمّا الرواية الثانية فتذكر أنّ قسما من الجنود التونسيين فضّل البقاء في تركيا بعد انتهاء الحرب فمنحهم السلطان العثماني قطعة أرض في ولاية قسطموني ليسكنوا فيها . وتقع قرية التوانسة في شمال وسط تركيا على سواحل البحر الأسود وتبعد عن مركز الولاية 59 كلم ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر 1150م.

رسالة إلى بورقيبة في مقرّ إقامته بباريس يوم إعلان الاستقلال

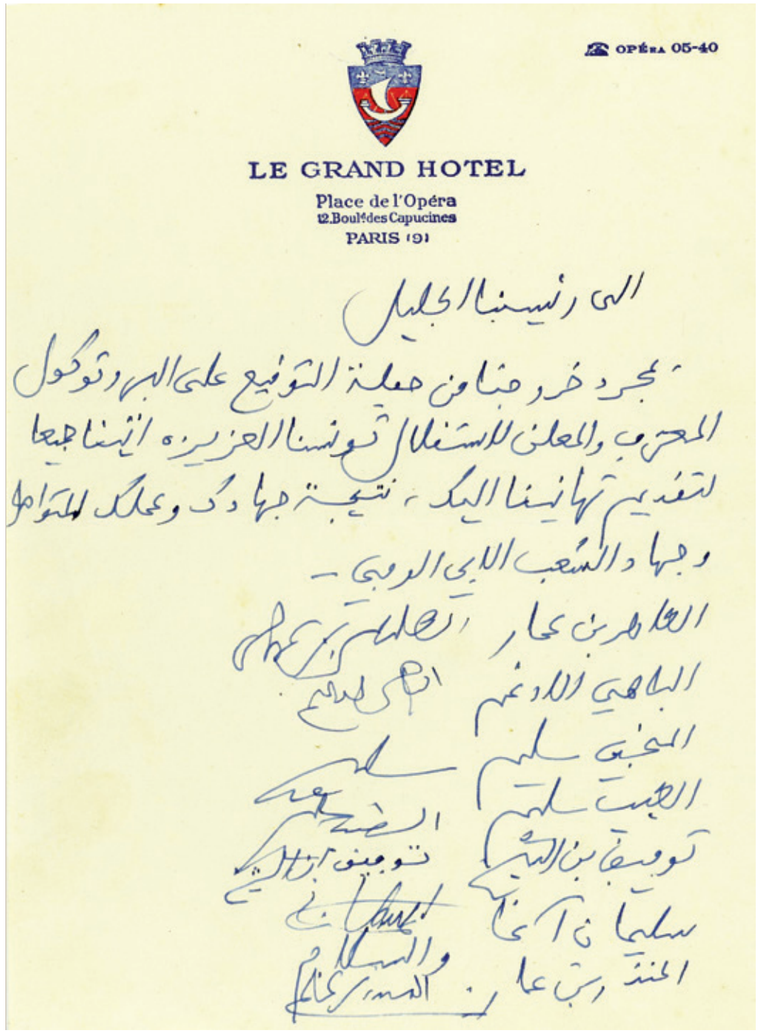
OPÉRA 05-40

LE GRAND HOTEL
Place de l'Opéra
12, Boul.des Capucines
PARIS (9)

الى رئيسنا الجليل

بمجرد خروجنا من حفلة التوقيع على البروتوكول المعترف والمعلن للاستقلال تونسنا العزيزة أتينا جميعا لتقديم تهانينا اليك، نتيجة جهادك وعملك المتواصل وجهاد الشعب الأبي الوفي -

الطاهر بن عمار
الباهي الأدغم
المنجي سليم
الطيب سليم
توفيق بن الشيخ
سليمان آغا
المنذر بن عمار

من الوثائق النّادرة الموجودة بالأرشيف الوطني والتي أمكن لليدرز العربية الحصول على نسخة منها رسالة لا تخلو من أهميّة تاريخية تركها الوزير الأكبر الطاهر بن عمّار وعدد من رفاقه يوم 20 مارس 1956 بمكتب استقبال الفندق الذي كان يقيم به آنذاك الزعيم الحبيب بورقيبة بباريس، وذلك فور خروجهم من حفل التوقيع على بروتوكول إعلان استقلال تونس. بورقيبة الذي لم يحضر هذا الحفل كان يتابع من غرفته بالفندق المفاوضات مع الجانب الفرنسي أوّلا بأوّل، مسديا توجيهاته لأعضاء الوفد التونسي الذي ترأسه الطاهر بن عمّار.

وقد جاء في هذه الرسالة التي كُتبت على ورقة تحمل شعار فندق Le Grand Hotel بساحة الأوبرا ما يلي:

«إلى رئيسنا الجليل بمجرّد خروجنا من حفلة التوقيع على البروتوكول المعترف والمعلن لاستقلال تونس العزيزة أتينا جميعا لتقديم تهانينا إليك، نتيجة جهادك وعملك المتواصل وجهاد الشعب الأبّي الوفيّ».

في الرسالة اعتراف صريح بمكانة بورقيبة كزعيم كبير وتعبير عن التقدير لجهاده في سبيل انعتاق تونس من ربقة الاستعمار.

وقد حملت اسم وتوقيع كلّ من الطاهر بن عمّار والباهي الأدغم والمنجي سليم والطيّب سليم وتوفيق بن الشيخ وسليمان آغا والمنذر بن عمّار. والملاحظ أنّ محمّد المصمودي عضو الوفد المفاوض لم يكن برفقتهم، ولعلّه كان في تلك الآونة صحبة الزعيم الحبيب بورقيبة خارج الفندق.

ومن أطرف الوثائق التي تزخر بها مؤسّسة الأرشيف الوطني رسالة تهنئة بمناسبة عيد استقلال تونس وجّهها إلى آخر بايات تونس محمّد الأمين باي شخص يدعى عماد الدين الرشيد الأموي منح نفسه صفة «خليفة بني أميّة» في إسبانيا، وذلك 465 سنة بعد سقوط غرناطة، آخر قواعد العرب في الأندلس.

صيغت هذه الرسالة بلغة فرنسية رديئة سقيمة تضمّت تراكيب وتعابير منقولة حرفيا من اللغة الإسبانية. ويمكن ترجمة نصّها كما يلي :

باسم اللّه الرحمن الرحيم

مدريد، إسبانيا في 18 شعبان 1376 هـ

تونس

لقد استعادت أمّتكم في الأخير الحرية والسّلام. وإنّها ستنعم بالاستقرار تحت القيادة الحكيمة للباي عاهل تونس وسيكون لها مكان ضمن منظّمة الأمم المتحدة.
عاشت تونس الجميلة!

شعار الأمويين : «لكلّ عمل جزاؤه».

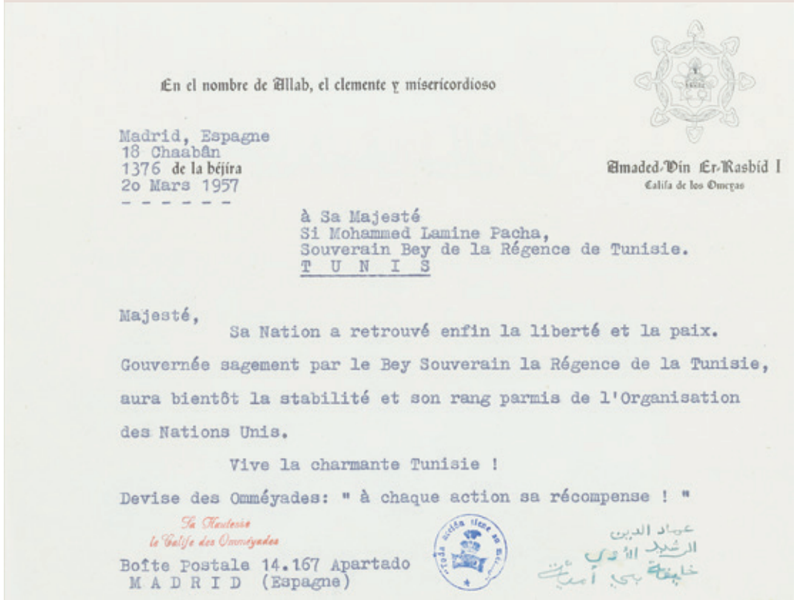

En el nombre de Allab, el clemente y misericordioso

Madrid, Espagne
18 Chaabân
1376 de la héjira
2o Mars 1957

Amadeddin Er-Rasbid I
Califa de los Omeyas

à Sa Majesté
Si Mohammed Lamine Pacha,
Souverain Bey de la Régence de Tunisie.
T U N I S

Majesté,

Sa Nation a retrouvé enfin la liberté et la paix. Gouvernée sagement par le Bey Souverain la Régence de la Tunisie, aura bientôt la stabilité et son rang parmis de l'Organisation des Nations Unis.

Vive la charmante Tunisie !

Devise des Omméyades: " à chaque action sa récompense ! "

Sa Hautesse
le Calife des Omméyades

Boîte Postale 14.167 Apartado
M A D R I D (Espagne)

إنّ الأرشيف ركيزة من ركائز الذّاكرة الوطنية وهو مصدر أساسي لكتابة التاريخ وفهم الماضي وبناء المستقبل. والأرشيف إلى جانب كونه ركيزة للذاكرة والتاريخ هو سند للحقوق وإثبات لها وكذلك إثبات للتجاوزات والانتهاكات فهو يتضمّن الإجابي والسلبي ولابدّ من جمعه ومعالجته ووصفه وتكشيفه وتركه للأجيال القادمة في أحسن حال ليكوّن صورة وفيّة لما كنّا عليه حتى نبني على ما هو إيجابي ونبتعد عمّا هو سلبي.

النهضة في تحوّلاتها «المكـــتومة»

• بقلم د. احميده النيفر
رئيس رابطة تونس للثقافة والتعدّد

1-في حواره مع « ليدرز العربية» قبيل انعقاد المؤتمر العاشر لحزب النهضة في ماي 2016 أكّد الأستاذ راشد الغنوشي أنّ الحركة حسمت خوض غمار درب جديد عنوانه الأبرز الفصل بين السياسي والدعوي. في هذا الحوار تستوقفنا إجابات فيها جملة من «دقيق الكلام» الذي يسترعي اهتمام المتابع لما يكتسيه اليوم من دلالة خاصّة. ثلاثة مقاطع من الحوار تشتمل على مـــؤشّرات تضيئ ما يجري من حراك «مكتوم» داخل النهضة.

2-عن سؤال: هل تنتظرون من المؤتمر بروز قيادات جديدة؟ قال الأستاذ فيما يمكن اعتباره تجاهلَ العارف: «نأمل أن ينفتح الحزب على الكفاءات التونسية وعلى فئات ثقافية واجتماعية أوسع...». في سؤال لاحق عن وجود صراع أجنحة داخل النهضة أتى الجواب بأنّ «كل حركة كبيرة لها أجنحة كثيرة ومستويات متعدّدة في التفكير وفي الرؤى»وأن الجامع بين عناصر النهضة هو «منظور شامل للإسلام نسميه الإسلام الوسطي...». لاستيضاح ما وراء التعميم واصل السؤال الثالث على نفس الوتيرة مستفهما: «قلتم إنّ من يخرج من النهضة لن يكون له شأن، كان الجواب»: «إن الحزب ليس حديديا وفيه فسحة لاختلاف الرأي ...ومن خرج منه أفرادٌ لأنّهم لم يجدوا أنفسهم في هذا الفضاء .. بل هناك عدد منهم عاد».

وفق هذا تكون النهضة المتخصّصة سياسيا غير منزعجة من اختلاف الأفكار داخلها طالما بقي ضمن سياج الإسلام الوسطي ولم يؤدِّ إلى تجاوز ما تعتمده الحركة وتصوغه لمفهوم «السياسة»!

عند التمعن، وبقطع النظر عن دلالة الإسلام الوسطي، فإنّ مفهوم السياسة في هذا المستوى هو الذي يبرز وكأنه من «دقيق الكلام» بمسائله الإجرائية وظواهره المتحركة أساسا. على هذا يكون يؤدي إقرار النهضة بالتوجه الجديد إلى استبعاد ما في السياسة من منظور استراتيجي وتموقع اجتماعي ورهان مؤسساتي والاكتفاء بما تقتضيه من صراع سلمي لحيازة السلطة الرمزية والفعلية في المجتمع والحكم.

3- لهذا نتساءل إن كان التخصص السياسي للنهضة قد مَيَّز بين العقل السياسي والفعل السياسي؟ وهل اعتبر أن الأول بما يطلبه من فكر ورؤية وحراك وخيارات ينقل الثاني من الاعتباط والممارسة العفوية إلى مجال النظر والعقل والعلم؟ مؤدى هذا أننا حين استعملنا «دقيق الكلام»، ذلك التعبير التراثي، للدلالة على ما يُستفاد من حوارنا مع الأستاذ راشد فإنّنا نريد أن نتبيّن هل يتوفر اليوم «جليل الكلام» لدى رموز نهضوية فيما يميِّز تحركهم وما تختص به مواقفهم؟ هل يعتبرون إقامة الدولة أو حفظها هو من قطاع «العمل» والممارسة فحسب أم أنها تستلزم تأسيسا بـ«النظر» والفكر والمبادئ المحددة؟ هل لديهم قول في العقل السياسي الذي على النهضة أن تمتلك ناصيته في وجهتها الجديدة وفيما يستدعيه من قراءة للتاريخ وتحليل للواقع الدولي والمحلي؟

4-من هذا يبرز سؤالان يُجَلِّيان إشكالية التخصص طرحناهما في حديثنا الاستكشافي مع من قدّرنا أنه، من قياديي النهضة، ويمكنه إنارة الرأي العام الوطني والعربي برؤية تحليلية لقضية «التوافق»: ما هو مفهومه له؟ وماذا يمكن أن تستفيده الدولة والمجتمع من هذا الخيار التوافقي؟

بادر المهندس عبد الحميد الجلاصي الذي صار ينشر ويتحرك باعتباره ناشطا سياسيا أنّ التوافق من مقتضى قبول التعدد وتجميع الكفاءات وأنّه أداةٌ لمواجهة إكراهات السياسة ومضايقها خاصة في المرحلة الانتقالية. أضاف أنّ النهضة اعتنت بالموضوع قبل الثورة بسنوات وعبّرت بوضوح عن ذلك خاصة في بيان الذكرى الخامسة والعشرين الصادر في 8 جوان 2006عند تحديد منهجها السياسي. بعد الثورة احتدم جدال بين المقتنعين بالتوافق ومقتضاه الفكري والسياسي وبين القائلين بالمغالبة ومراعاة موازين القوى التي أسفرت عنها انتخابات 2011. في صيف 2013 وبمفعول اعتصام الرحيل والانقلاب في مصر انقلبت، حسب الجلاصي، المواقف فصار القائلون بالمغالبة والتشبث بالشرعية أنصارا للتوافق ومنافحين عنه. هكذا غدت النهضةُ، وهي الطرف السياسي المحمول عليه أكثر من غيره مسؤولية التوافق وما يستدعيه من معالجات إصلاحية للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، غدت حركةً توافقية بالإكراه أكثر من كونها قناعةً مؤسَّسَةٍ فكريا واجتماعيا. ما يخلص إليه محاورنا هو انخراط النهضة في توافق عقيم هو أقرب إلى التحالف وأنه على أيّ حال لن يُمكِّن الحركة ومن ثم البلاد من تغيير نوعي في المشهد السياسي الحزبي. حصيلة تحليل قضية التوافق السياسي أفضت بالقيادي النهضوي إلى تساؤل مرير عن واقع النهضة ومستقبلها: هل هي حزب له مشروع وبرنامج وزعيم أم هو العكس: زعيم له حركة؟

5-لم يختلف جواب النائب عبد اللطيف المكي بخصوص التوافق عن عموم رؤية زميله فيما تثيره القضية من جدل داخلي حادّ وصادم. مع ذلك حرص على تأكيد أنّه لا خلاف داخل النهضة في ضرورة التوافق باعتباره خيارا مبدئيا وأداة عمل بين المجموعات المختلفة المشتركة فيه إلا أنّ الإشكال كامن في إدارته. يتعلق السؤال المؤرق بكيفية هذه الإدارة وهل تكون بين أفراد أم بين مؤسسات الأحزاب المنخرطة فيه؟ وهل يتبع التوافق بوصلةً اجتماعية تنموية أم أنه يقتصر على توافق نخبوي لاعتبارات سياسية ظرفية؟

صميم التوافق، حسب النائب المكي، في المساواة بين المشاركين فيه وفي حق الاعتراض(الفيتو) لكل طرف وفي أن مردوديته السياسية على أهميتها بالنسبة إلى المواعيد الدستورية وتركيز الحكم المحلي والهيآت التعديلية وقطاع الإعلام فإنّها لا ترقى لمردوديته الاقتصادية الاجتماعية وقدرتها على توفير السلم الاجتماعي.

أمران هامّان لا يفوت القيادي النهضوي أن ينبّه إليهما يتعلق أولهما بـ «النظام الرئاسي» الداخلي للنهضة. المشكلة في هذا «النظام» أنه، حسب تقديره، مسلك قيادي عاجز عن تَعْبِئَة الذكاء الجماعي للحركة ومن ثم صار عائقا للتوافق الأنسب وللحلول الأنجع.

مصدر الضعف الثاني لمبادرة النهضة التوافقية أنّها تعمل دون سند فكري ثقافي خاص. هي بذلك حسب النائب المكي، خلافا لنظرائها في المجال الوطني، في عَراءٍ أفقدها زخما ثقافيا وفكـــريا تستطيـــع أن تغـــادر به المـــواقع الدفـــاعية لتوافق عاجز عن التميّز.

6- ثالث المحاورين في قضية التوافق كان القياديُّ لطفي زيتون. اختلف حواره، كما توقّعنا من المستشار السياسي لرئيس النهضة، عن السابقَيْن في حفريته العلاجية لقضية التوافق متجاوزا الأفق الحركي التنظيمي للنهضة وناقدا له بقوة. صميم رؤيته للتوافق السياسي تتحدّد في رباعية: المعطى المنهجي وفي تقييم حصاد التنظيمات الإسلامية العربية وفي معنى التوافق السياسي ضمن تمثل لطبيعة الدولة وفيما تعنيه الثورة بالنسبة إلى النخب السياسية. تتركز المعطيات الأربعة في ضرورة التخلي عن المقاربة المثالية للشأن السياسي التي أودت بجهود مناضلين وقياديين إسلاميين في وهم القدرة على مغالبة الدولة واستتباعها وفي الشروط المتعذر تحققها فيما تسعى لإقامته من انتظام سياسي. في مستوى ثان لا مفرّ من الوعي بحجم الانهيار الذي انتهت إليه تجارب الحركات الإسلامية العربية منذ «ثورة الإنقاذ» السودانية في الثمانينات وما أدت إليه من أخطاء قاتلة مرورا بما جرى في الجزائر وتونس في التسعينات وصولا إلى ما حصل في مصر باعتلاء الإخوان سدّة الحكم وما انجرّ عن ذلك من دمار. على هذين المعطيين تتأسّس السياسات التوافقية التي انخرطت فيها النهضة لمغادرة موقع التصادم مع الدولة الناشئ عن شمولية البديل وانغلاق الفكر الذي يعتقد أن شرعية الحركات تُستمدّ من داخلها لكونها ترى في نفسها البديل عن الدولة والمجتمع.

على هذا يُضحي التوافق، وفق المستشار زيتون، أبعد ما يكون عن التكتيك الذي اقتضته الضرورة وموازين القوى ليكون تأسيسا لنمط جديد من علاقة الإسلاميين بالدولة في فهم طبيعتها ومقتضياتها. التوافق بذلك هو خروج النهضويين من موقع الهامشيين الذين يريدون تقويض الدولة إلى موقع قوّة رئيسية عادية تعمل للمشاركة في إعادة بناء الدولة بالانخراط في الصراع السياسي المدني.

7- بربط مضمون المحاورين الثلاثة بإجابات رئيس النهضة يتبيّن أنّه يعتمل داخل النهضة اليوم مخاض صعب لكنه واعد. هو كذلك نتيجة ما تواجهه الحركة من تحدّيات متنوّعة ومصاعب مركّبة مع ما تتطلبه من إصلاحات نوعية. لكنه واعد بفضل الكفاءات وخبرة التجربة التي يمكن أن تفضي إلى حزب توافقي ممتلك لوعي جديد متمثّل لديناميكيات المرحلة وأوليات السياق. خارج هذا التغيير تتوفّر سبل أخرى يعسر عليها مقاومة الاندثار.

السؤال المطروح عن هذه التحولات «المكتومة» والمحتومة هو أنّها كيف ستُحسم ومتى؟ وهل سيُسهم الأب المؤسس في تيسير المرور بها إلى المرحلة الجديدة بإيلاف عناصر قوّتها المتشربة لمستلزمات التوافق والتعدد؟

ا.ن.

الأسبـــاب المـــوضوعيـــة لفشل الـــثـــورة التـــونسيـــة

• بقلم الحبيب التّوهامي

وجدت تونس نفسها في مساء 14 جانفي 2011 أمام خيارين أساسيين متناقضين أشدّ التّناقض، إمّا إقرار مبدإ استمرارية الدولة بما في ذلك من سلبيات ونقائص تشهد عليها تجارب الأمم التي مرّت بمرحلة مماثلة وإمّا ترك المجال للشرعية الثورية بما فيها من عنف ومخاطر تشهد عليها تجارب الأمم التي مرّت بمرحلة مماثلة.ولما لم تكن الثورة ثورة بالمعنى المتعارف ولما لم تكن لها قيادة وبرنامج واضح فإنّ النّقاش الذي دار حول هذا الموضوع في الدّوائر العليا دون غيرها حُسم سريعا لفائدة الخيار الأوّل فسرعان ما نُصّب رئيس جديد للجمهورية وشُكّلت حكومة ضمّت وجوها قديمة وشخصيات من المعارضة و«المستقلين» استطاعت تهدئة الخواطر تدريجيا والوصول بالبلاد إلى تنظيم انتخابات أكتوبر 2011. إلا أنّ مبدأ تواصل الدولة أدّى عمليّا إلى استمرار النّظام السّابق بكلّ عيوبه عدا التعددية وحـرية الكلمة، وهكـذا أُطيح بن علي ولم يطح بنظامه وشكّلت هذه المنظومة مصـدرا أسـاسيّا لكلّ التّناقضات التي غلبت على الحياة السياسية من بـعد.

1 ـ لا نعرف في التّاريخ المعاصر ثورة استطاعت إصلاح ما فسد إذا لم تُقدم على هذا الإصلاح مباشرة بعد اندلاعها لأنّ الوقت الذي يمرّ يلعب دوما دورا لفائدة القوى القديمة لا لفائدة التّغيير، وحتّى ولو اعتبرنا أنّ الثورة التونسية لم تكن ثورة بالمعنى الصّحيح وإنّما مجرّد انتفاضة شعبية فإنّه يجري عليها من ناحية التغيير وميقاته وأبعاده ما يجري على كلّ ثورة. على أنّ التغيير الإصلاحي عن طريق القانون أي عن طريق الانتخابات والتشريع كان ممكنا نظريّا لو توفّرت الظّروف الملائمة لكن هذا لم يحدث نظرا لثقافة الطبقة السياسية الجديدة وتركيبتها، حيث أعطت الأحزاب السياسية بعد 14 جانفي 2011 الأولويّة المطلقة للسياق الانتخابي أي لتنظيم انتخابات تشريعية تفرز مجلسا تأسيسيا تنبثق منه حكومة شرعيّة إلاّ أنّ هذا السياق أجّل عمليا تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية لما سمّي بالثورة التونسية وأعطى لكل الحكومات الوقتية عذرا تفسّر به تقاعسها عن حلّ المشاكل المطروحة. والواقع أنّ الشّارع التونسي المنادي بالتغيير يتحمّل مسؤولية كبيرة فيما حصل لأنّه شغل نفسه هو أيضا بالانتخابات معتقدا أنّ الانتخابات كفيلة وحدها بتحقيق التغيير المنشود.

2 ـ وصلت إلى الحكم بعد انتخابات 2011 أحزاب سياسية مختلفة أشدّ الاختلاف في كل المسائل المفصلية ،لا تملك مشروعا اقتصاديا واجتماعيا بديلا، جاهلة بكلّ المعطيات الديمغرافية والاقتصادية الأساسية، ثقافتها ثقافة معارضة وليست ثقافة حكم. ولقد برّرت هذه النّقائص بشتّى الأعذار منها احتجاز المعلومات ومحاصرة العمل السياسي المضاد خلال الحقبة الماضية ولكنّ الحقيقة أنّ الأحزاب السياسية التي تكوّنت قبل 14 جانفي 2011 وبعده لم تؤهّل نفسها وكوادرها لتحمّل أعباء الحكم وكان ذلك ممكنا حتّى زمن حكم بن علي لو كان لهذه الأحزاب حرص حقيقي على المعرفة والتفكير والاستشراف والبرمجة. والدّليل أنّ هذه الأحزاب واصلت نفس النّهج بعد 14 جانفي 2011 رغم فكّ الحصار عنها وتوفّر المعلومات بقدر هامّ.

3 ـ لم تفض انتخابات أكتوبر 2011 إلى بروز أغلبية نيابية واضحة ومتماسكة في المجلس التأسيسي وكان هذا متوقّعا نتيجة لطبيعة طريقة الانتخاب المعتمدة ممّا أدّى إلى تكوين تحالف ثلاثي لا يتّفق على اختيارات أساسية كمفهوم الدولة الوطنية مثلا. وأدّت هذه التركيبة إلى سلسلة من السلبيات منها تعطّل العمل التشريعي وغلبة الطموحات الحزبية والشخصية على العمل الحكومي وإضعاف الثقة في السياسة والسياسيين. ولم تنج انتخابات 2014 من نفس العواقب السيئة بل ازدادت حدّتها كما نلاحظه الآن من خلال تعطّل العمل الحكومي ورداءته وتغلّب قيادات الأحزاب السياسية المؤلفة للأغلبية النيابية على الجهاز التنفيذي رغم أنّ البعض نبّه الرّأي العام منذ مارس 2011 لانعكاسات طريقة الانتخاب على النظام السياسي من حيـث أنّها ستـؤدّي لا محـالة إلى تركيز نظام أحزاب لا لنظام برلماني أو رئاسي معدّل.

4 ـ ترجع أسباب الأزمة المالية والاقتصادية التي تعاني منها تونس حاليا إلى عدّة عناصر منها ما يتعلّق بالتسيب المالي الذي ساد قرارات حكومات ما قبل انتخابات 2011 ومنها ما يتعلّق بالقرارات الاقتصادية والمالية العشوائية التي اتخذتها الحكومات التي نبعت عن هذه الانتخابات ومنها ما يوكل لحكومات ما بعد انتخابات 2014. وتشكّل هذه العناصر وحدة رغم الفروق الإيديولوجية أو السياسية المعلنة وذلك لسببين رئيسيين، الأول أنّ مخلّفات القرارات التي تتخذها حكومة ما في فترة ما تتحمّل أعباءها عمليا الحكومة الموالية في الفترة والفترات الموالية والثاني أنّ السياسة الاقتصادية والمالية التي انتُهجت من قِبل كل الحكومات المتعاقبة لم تتغيّر في مضمونها وإن تغيّرت بعض الشيء في آجال وطرق التنفيذ.

5 ـ لعب البحث المستمر عن «التّوافق» في الميدان السياسي دورا تأرجح بين الحثّ على التعايش وإشاعة الشلل لكنه لعب أيضا دورا سلبيا في حجب أو تقليل أهمية التّوافق الاجتماعي والاقتصادي في فترة حرجة من تاريخ البلاد، فلقد أقحمت الأطراف الاقتصادية الاجتماعية لفرض توافق سياسي دون أن تبحث لنفسها عن توافق اجتماعي اقتصادي يكمّل ويعزّز التّوافق السياسي البحت.

الملاحظة الأولى التي يجب أن نبديها هنا هي أنّ إقحام المنظّمات المشار إليها في المسائل السياسية البحتة أتى بطلب من الحكومة أحيانا وبطلب من التشكيلات المنتخبة وبطلب من ما يسمّى بالمجتمع المدني أحيانا أخرى و نتيجة لذلك تشابكت الأدوار دون نفع. والملاحظة الثانية هي أنّ كلّ الحكومات عجزت عن إحياء السياسية التعاقدية حول الأجور والمداخيل والجباية والتّحويلات الاجتماعية وعجزت بالتالي عن ضبط محتوى المفاوضات مع الأطراف الاقتصادية والاجتمـاعية وعـن تقنيـن الآليات المنهجيـة والعملية التي من شـأنها إيجـاد توافق حول المـسائل الجـوهرية التـي مـا فتئت تسمّـم العلاقات الاجتماعية والمهنية.

6 ـ لبروز الإرهاب على السطح تأثيرات لا تنكر في احتداد الأزمة الاقتصادية والمالية والاجتماعية، ولكنّ تأخرّ معالجة الإرهاب ساهم بقسط أوفر في هذا الاحتداد لتتحمّل الحكومات التي انبثقت عن انتخابات 2011 مسؤولياتها كاملة في الإخلال الخطير

الذي حصل في أجهزة الأمن وفي عدم احتساب تداعيات سقوط نظام العقيد القدافي على الأمن والاستقرار في المنطقة. لقد كان القضاء على الإرهاب وتطويقه على الأقلّ ممكنا في المراحل الأولى لو توفّر الاستباق المفروض في هذه الحالة لكنّ المجال تُرك لمسؤولين هواة لا يقدّرون عواقب الأمور، شغلوا الناس وأنفسهم بمناقشات بيزنطية مسّت الدولة وحطّت من إمكانيات الساهرين على الأمن ومعنوياتهم.

والخلاصة أنّ فشل الثورة التونسية كان منتظرا للأسباب التي ذكرت ولسبب آخر لعلّه أهم لأنّه يتعلّق بالأرضية الثقافية والفكرية والسياسية السائدة في المجتمع التونسي، حيث دلّت كل الانتخابات التي أجريت بعد 14 جانفي 2011 أنّ غالبية التونسيين لا ترغب حقيقة في دكّ النظام الاقتصادي والاجتماعي الموروث وإبداله بنظـام مغاير لأنّها صـــوّتت في كلّ مرّة لفائـــدة أحـــزاب «محافظة» من هـــذه الوجهة. أمّا إذا وضعنـــا بلادنا في إطار محيطها الجغرافي والسياسي فإنّه لا منـــاص لنا من اعتـــبار حقيقة لا مفرّ منها وهي أنّ شعوب الأرض المتقدّمة تنقسم إلى صنفين أساسيين: شعوب قادرة على الإصلاح دون أن تشعل ثورة وشعوب لا تقدر على الإصلاح إلا بإشعال ثورة ونستَطيع أن نقول بالنظر إلى التّاريخ المعاصر إن الشعـــوب المتوسطية تنتمي عمـــوما إلى الصّنف الثّاني وإنّ شعوب أوروبا الشمالية تنتمي عموما إلى الصّنف الأوّل وأمام ما حدث في تـــونس فإنّ صنفا ثالثا رأى النّور وهو صنف الشّعوب غير القادرة على الإصلاح حتّى ولو اشتعلت في محيطها نيران الثّورة أو ما سمّي خطأ وتجاوزا بالثّورة.

ح.ت.

بنـــك تـــونس و الإمـــارات
Banque de Tunisie et des Emirats

بيع 77.8٪ من أسهم بنك تونس والإمارات – BTE
إعلان طلب تعبير عن الأهتمام بالمشاركة

موضوع طلب التعبير عن الاهتمام بالمشركة

تعتزم الدولة التونسية و جهاز أبوظبي للإستثمار(أديا) (**"البائعون"**) التفويت بالبيع عن طريق طلب عروض دولي في حصتهما المباشرة في رأس مال بنك تونس و الإمارات **"البنك"**. ويتعلق هذا البيع ببيع كتلة واحدة من الأسهم تمثل 77.8٪ من رأس المال، (أي 100٪ من حقوق التصويت، بينما تمثّل النسبة المتبقية أي 22.22٪ أسهم ذات أولوية في الربح تخضع لاحقا لعملية طلب شراء عمومي وفقا للأنظمة المعمول بها) **("كتلة الأسهم")**. وستتم عملية التفويت على مرحلتين:

-المرحلة 1: دعوة للتعبير عن الاهتمام بالمشاركة

-المرحلة 2: طلب عروض دولي.

وللغرض، تم تكليف كل من روتشيلد بنك و مكتب KPMG تونس كمستشارين حصريين (**"المستشارين الحصريين"**) للبائعين في كامل مراحل عملية التفويت بالبيع **("العملية")**..

و بهدف هذا الإعلان إلى إبلاغ كل من يهمه الأمر من مستثمرين بإنطلاق هذه العملية ولتمكين للراغبين من سحب ملف التأهيل المسبق.

معلومات موجزة عن البنك BTE

تأسس بنك تونس والإمارات (بنك تونس و الإمارات للإستثمار مسبقا) في عام 1982 بموجب اتفاقية تم توقيعها بين جهاز أبوظبي للاستثمار (أدبا) والحكومة التونسية، وقد إكتسب البنك موقع ممتاز بين بنوك التنمية، ومجموعة من الشركات الرائدة.

ومنذ عام 2004، تعهد البنك بإلتزام مبدأ الشمولية. ومنذ ذلك الحين قام بتوسعة أنشطته إلى جميع المجالات الأخرى المتعلقة بالخدمات البنكية ، بعد أن اقتصرت خدماته في البداية على تمويل الشركات.

وأغلق بنك تونس و الإمارات سنة 2016 بصافي إيرادات مصرفية بلغت نحو 39.8 مليون دينار، وبلغ صافي الربح 0.9 مليون دينار. وبلغ إجمالي الأصول 981 مليون دينار، في حين بلغ إجمالي الأموال الذاتية 129 مليون دينار (السنة المالية 2016).

شروط المشاركة

على المستثمرين الراغبين في التأهل المسبق للمشاركة في العملية التعبير عن اهتمامهم بالمشاركة وفقا للشروط واالآجال النهائية المنصوص عليها في ملف الإنتقاء الأولي.

ويستثنى من ذلك الكيانات القانونية التي هي في حالة توقف عن النشاط أو إفلاس أو تسوية القضائية أو تصفية أو تمر بحالة إعسار أو مديونية فائقة..

لن يقبل طلب مشاركة الشركات التي صدر في حقها حكم موضوع جنحة تمس نزاهتهم المهنية (فساد وإختلاس) أو المقيمين في دول غير موقعة على الأتفاقيات الثنائية مع الدولة التونسية.

إجراء عملية التفويت في كتلة الأسهم

في سياق العملية، قرر البائعون أن تقتصر المشاركة في العملية على المرشحين االذين تم إختيارهم على إثر مرحلة التعبير عن الإهتمام وفقا للشروط المنصوص عليها في ملف الإنتقاء الأولي.

يجب على المستثمرين الراغبين في المشاركة في عملية الإنتقاء الأولي أن يعبروا عن اهتمامهم بالمشاركة عن طريق إرسال بريد الإلكتروني إلى المستشارين الحصريين (أنظر البيانات أدناه)، و ذلك خلال الفترة الممتدة **من 11 ديسمبر 2017 إبتداءا من الساعة الثانية ظهرا إلى 15 جانفي 2018 إلى حدود الساعة الخامسة بعد الظهر.** وسيتلقى المستثمرون المهتمون بعد ذلك و في غضون 48 ساعة قائمة بيانات يتم إستكمالها وإمضاء إلتزام المحافظة على السرية وإرسالها بالبريد الإلكتروني إلى المستشارين الحصريين. لتسهيل التبادل، يرجى الإشارة في موضوع البريد الإلكتروني: " BTE - تعبير عن الاهتمام - عملية الإنتقاء الأولي – ["اسم المستثمر"] ".

بعد استلام قائمة البيانات المكتملة و إلتزام المحافظة على السرية الموقع، يحصل المرشح و في خلال 48 ساعة على الملف الفني للإنتقاء الأولي وذلك عن طريق البريد الإلكتروني.

يحتريوم الجمعة 26 جانفي 2018 على الساعة الخامسة بعد الظهر بتوقيت تونس آخر أجل لإيداع الملفات الفنية للإنتقاء الأولي بمكتب الضبط بالبنك مقابل وصل إستلام أو لإرساله عن طريق البريد المضمون الوصول مع إشعار إستلام . يرسل الملف في عشرة (10) نماذج منها واحد (01) اصلي و تسع (09) نسخ إضافة إلى نسخة إلكترونية لكامل الملف، وذلك على العنوان التالي:

"بنك تونس والإمارات (BTE)

5 مكرر، شارع محمد بدرة 1002 تونس"

جهات الاتصال وطلبات الحصول على المعلومات

للحصول على أي معلومات، وسحب ملف التسجيل (قائمة البيانات وإلتزام المحافظة على السرية) يمكن للمستثمرين الذين يهمهم الأمر أن يتصلوا بالأشخاص التالية:

المنصف بوستوقة الزموري
مدير عام
Tel : +216 71 194 344
mzammouri@kpmg.com

منال الزموري المبلاتي
شريك
Tel : +216 71 194 344
manelzammouri@kpmg.com

ادواردة فاساتي
مدير
Tel: +971 4 428 4320
edoardo.fassati@rothschild.com

جورج أماتوري
مدير
Tel: +33 1 40 74 44 15
georges.amatoury@rothschild.com

Rothschild

KPMG

إسمـــاعيل خـــليـــل

أعْظِمْ بـه مـن رجـل دولة، وأكـْرِمْ به مـن وطنـيّ غيـور

أثارت وفاة السيد إسماعيل خليل السفير والوزير السابق يوم 20 نوفمبر 2017 الأسى والحزن في نفوس كلّ الذين اختلفوا إليه وعملوا إلى جانبه، فضلا عن مشاعر الاحترام والتبجيل لرجل كان في مختلف المناصب الدبلوماسية والسياسية التي تقلدها مثال الجديّة والكفاءة والوطنية. عن الراحل نعرض هذه الشهادات :

«كان رجلا ذا شأن.. كان وطنيا حتّى النخاع، مُجنَّدا لأجل تونس، خدَمَها بكُلِّ ما أوتي من جهد، وبكلّ تفان، في كلّ المناصب والوظائف التي نهض بها بتألُّقٍ وامتياز في مجالات الدبلوماسية والسياسة والاقتصاد، وأعطى في سبيل ذلك دون حساب. كان ذلك دأبُه، لم يحِدْ عنه قيد أنملة.. ظلَّ متشبِّعا بالقيم الإنسانية، متشبِّثا بخصال الاعتدال والتوافق وسعة الخُلُق.

كنْتُ أكِنُّ للفقيد الجليل منتهى الاعتبار والتقدير والمحبّة. احتفظ بجمّ الذّكريات عن «المُعَلِّمْ». اشتغلْتُ إلى جانبه وتحت إمْرته ردْها من الزمن لمَّا كان على رأس وزارة التخطيط والمالية خلال الفترة الممتدة بين 18 جوان 1983 و27 أكتوبر1987. كانت فترةً صعبة إلى أبعد الحدود بالنسبة إلى البلاد على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي؛ فترة تخلَّلَتْها «ثورة الخبز» في جانفي 1984 وقد ظلت تبعاتُها قائمةً حتّى اليوم، فترة شهدت خفْض قيمة الدينار في أكتوبر 1986 ووضْعَ برنامج التعديل الهيكلي وإنجازَه في سنة 1986.

عرف كيف يدرَّبَ معاونيه على ترتيب الأولويات وإدراج الضّرورات في حيز الإمكانات، مستفيدا في ذلك من التجربة التي حصلت له كسفير لتونس في بروكسيل في الفترة 1978-1972 حيث ساهم في نجاح المفاوضات المتعلّقة بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي، وكمدير تنفيذي للبنك الدولي.

كل ذلك هيّأ المجال للدفاع عن مصالح تونس بشكل جيِّد، والحدِّ من الكلفة الاجتماعية لبرنامج التعديل الهيكلي. ولعلّ أفضل شهادة على حنكة إسماعيل خليل القيادية تلك التي جاءت على لسان المسؤول السامي في صندوق النقد الدولي السيد باتهيا الذي صرّح عقب المفاوضات التي جرت بتونس بهدف إبرام اتفاق يمنح صندوق النقد الدولي بموجبه دعما للبلاد التونسية بقوله إنّ «العادة جرت بأن تخضع البلدان التي تلاقي صعوبات إلى برامج تعديل يتولّى صندوق النقد الدولي وضعه؛ لكنّنا نرى اليوم كيف انقلبت الآية، وصار الصندوق هو الذي يخضع إلى برنامج من وضع البلاد التونسية.»

تكفُّلُ تونس ببرنامج الإصلاحات الهيكلية ساعد على وضعه موضع التّنفيذ بنجاح، وآية ذلك توفّق تونس إلى تسديد ما تخلّد بذمّتها لفائدة صندوق النقد الدولي قبل الآجال المقرّرة. لقد ظلّت بعض الذكريات عالقة بذهني عن زميل وجيه حينما كان محافظا للبنك المركزي التونسي خلال الفترة بين 27 أكتوبر 1987 و 3 مارس 1990، فوزيرا للشؤون الخارجية من 3 مارس 1990 إلى 28 أوت 1990، وسفيرا لتونس بواشنطن بين سنتي 1991 و 1994. كنّا نتشاور بشكل منهجيّ في كافّة المسائل المتعلّقة بتنمية تونس وما تطرحه من رهانات كبرى. درج سي إسماعيل على إبداء الرّأي الرّاجح وإسداء النّصح السّديد، كانت له قدرة فائقة على الاستماع الجيّد، ولا يتأخّر قيد أنملة في خدمة بلاده دون انتهازية وبلا حساب رغم ما لحقه من مظالم في أحيان كثيرة.

لن ننسى أبدا معارضته لموقف تونس الرسمي من احتلال الكويت، وكان موقفا يشوبه بعض الغموض. لقد أدان بكلّ شجاعة غزو الكويت الذي مثّل خرقا للشرعية الدولية؛ حصل ذلك في اجتماع وزراء الشؤون الخارجية العرب في القاهرة في أوت 1990... فأصبح مغضوبا عليْه وأقيل من وزارة الشؤون الخارجية وقد عُيِّن على رأسها قبل فترة لا تتجاوز خمسة أشهر. لكن ذلك لم يَحُل دون اعتبار مبادرة الوزير أحد الإنجازات المهمّة التي تُحسب لوزارة الشؤون الخارجية، ناهيك أنّه أُخِذ في الاعتبار في إطار عملية تطبيع العلاقات مع الكويت».

محمد الغنوشي، الوزير الأوّل الأسبق

أحد مؤسّسي الدبلوماسية الاقتصادية

«ظلّ سي إسماعيل هُوَ هُوَ في كافة الوظائف السامية التي مارسها، ذلك الوطني الغيور، والديبلوماسي الحريص على مصالح بلاده، والمؤتمن على خزينة الدولة، يُشهد له بالكفاءة العالية.. لم يحد قطُّ عن مبادئه كلّفه ذلك ما كلّفه. كان محَلّ تقدير لم ينقطع من كافة زملائه وأصدقائه. لقد بقي قريبا منّا حاضرا أو نائيا.

ستفقد الديبلوماسية التونسية الكثير برحيل الرجل .. كان أحد مؤسّسي الديبلوماسية الاقتصادية حتّى من قبل أن تشهد النّور كما يدلّ على ذلك بشكل جيّد تدرُّجُه في سُلّم المسؤوليات من سفير في لندن وفي بروكسيل وبون وواشنطن آخر المطاف... وتقلُّبُهُ في العديد من الوظائف كوزير للتخطيط والمالية ومحافظ للبنك المركزي ووزير للشؤون الخارجية .. دون أن ننسى أنّ الفقيد كان شَغَل منصب رئيس مدير عام لشركة تونس الجوية، وتقلّد منصب مستشار لدى البنك الدولي بواشنطن».

الطاهر صيود، السفير والوزير الأسبق

وداعا يا مْعَلّم

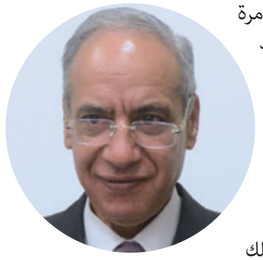

«اشتغلْتُ طيلة مساري المهني تحت إمرة مسؤولين كُثر، لكنّه كان في نظري الوحيد الأجدر بلقب « الْمُعَلّمْ». كان كذلك بين سنة 1983 و1987، وظلّ كذلك منذ ذلك الوقت. لقد علّمني أشياء كثيرة. علّمني كيف يمكن المحافظة على صفاء الذّهن في الأوقات العصيبة؛ وكيف نواجه مصيرنا وُنْقدِم على تغيير مجرى الأمور ونسلك مسلك التقويم والإصلاح. له على ذلك شواهد مأثورة ومن بينها مؤقِفَه في سنة 1990 في غمرة أزمة الخليج، والدّور الذي اضطلع به في سنة 1985 حينما تصدّى للنزعة الشعبوية لأحد الوزراء الأول، والحزم الذي أبداه لإنجاح برنامج الإصلاحات الهيكلية وكان هو واضعه والمشرف على إنجازه، وبفضله تجنّبت تونس وَخِيم العواقب وتجاوزت الأزمة بسلام... وأنّى لنا أن ننسى قدرة الرجل الفائقة على البيان والتّبيين والتبليغ بكلّ يسر. وداعا يا مْعَلّمْ .. لقد أنهيْتَ المشوار ورحلْتَ قرير العين، مرتاح البال، مطمئنًّا، بعد أن قمت بالواجب بعِزّةٍ وإباء. وإني لشاهد على ذلك.

لقد لازمْتَ الصّمت طوال هذه السنوات الأخيرة. كُنْتَ مُحِقًّا حين فعَلْتَ، لأنّ الحقَّ حقٌّ حينما يصير مَعينُ الكلام إلى نضوب».

توفيق بكّار، الوزير والمحافظ الأسبق للبنك المركزي

الاعتقاد في التّنجيم ضربة لمعنى العقلنة

• بقلم د. أمال موسى

مع نهاية كل سنة وبداية أخرى جديدة يقبل كثير من النّاس بشكل لافت على المنجّمين وكلّهم لهفة للتعرّف على حظّهم في العام القادم وما تبشرهم به الكواكب من نصيب في المال والحبّ والصحّة والعمل. وما يسترعي الانتباه حقّا أنّ هذه الظاهرة تشمل فئات مختلفة ولا أثر للمتغيّرات مثل متغيّر الجنس أو المستوى الاقتصادي أو التعليمي في إنتاج فوارق ذات قيمة ممّا يعني أنّ هذا التهافت على القنوات الإذاعية والتلفزية لمتابعة قراءات المنجّمين المشهورين للأبراج ظاهرة تشمل فئات متجانسة وغير متجانسة في خصائصها.

كيف يمكن مقاربة هذه الظاهرة سوسيولوجيا وهل من تفسير لتنامي وانتعاش سوق التّنجيم وبروز نجوم تتسابق نحو استضافتها وسائل الإعلام؟

إنّ المفارقة الحقيقية هي أنّ هذه الظاهرة غير العقلانية بالمرّة إنّما تفرض نفسها في زمن الحداثة وما بعد الحداثة حيث يتبارى الجميع في التسريع في خطى التحديث وإدّعاء العقلنة في النظرة إلى العالم وفي تفسير الظاهر وفي فهم الحياة والمجتمع وما يعتمل فيه . وهو ما يعني أنّ ظاهرة التّنجيم هي هزيمة للحداثة والعقلانية وتحدّ صريح تصبح في ضوئه مكاسب عدّة محلّ شكّ وتشكيك.

بمعنى آخر فإنّ الإقبال المتزايد على المنجّمين مع قدوم كلّ عام جديد يمثّل طعنة رمزية قوية في جوهر فكرة الحداثة ومعناها والقيم التي تنتصر إليها مثل قيمة العقل ومركزيته في المجتمعات الحديثة أو الحداثية.

وباعتبار أنّ الظواهر الاجتماعية تتميّز دائما بكونها معقّدة ومركّبة فإنّه في الحقيقة لا يمكن القنوع بسبب واحد في قراءة هذه الظاهرة خصوصا وأنّ التردّد بين مرجعيّات وسجّلات قيمية مختلفة تنتج ذواتا تعاني من انفصام قيمي أيضا ، فقد يكون الفرد عقلانيا أو يبدو لنا كذلك من خلال سلوكه ومواقفه وفي نفس الوقت نجده يبحث عمّا تخبّئه له الكواكب والأبراج في العام القادم أي أنّ مقاربة الظاهرة ليس باليسر الذي قد يبدو وإن كان وجودها في حدّ ذاته ضربة رمزية للعقلانية ومسارها وللحداثة وتجاربها المختلفة المدى والعمق والإرادة . لذلك لا مفرّ من العودة إلى مساءلة الطبيعة البشرية ذاتها حيث أنّ التهافت على معرفة تنبّؤات المنجّمين والعرّافين تهافت على المستقبل ومحاولة للتّلصّص عليه من أجل التحكّم في الخوف المرافق للإنسان والقلق الذي لا يكاد يفارقه في مختلف مراحله العمرية.

إنّ الإنسان مصاب منذ الأزل بالخوف والقلق من المستقبل وكلّ ما أنجزته الإنسانيّة إنّما ينصبّ في مقاومة ظاهرة الخوف ومعالجتها ممّا ييسّر حياة الإنسان.

ولا يفوتنا أنّ حالة الخوف والقلق هذه هي من خصائص الطبيعة البشرية، لذلك فإنّ الإنسان رغم إنجازاته العلمية التي قلّصت من الإحساس بالرّهبة أمام الطبيعة، لم يتجاوز البواعث على الخوف والقلق حيث إنّ خصائص الفرد الاجتماعية والاقتصادية وديناميكية علاقاته داخل المجتمع والتوجُّس من المجهول تغذّي لديه مشاعر الخوف والقلق، فإذا بالقلق خاصيّة تطبع النفس البشرية وتلازمها ومن ثمّة فهو - أي القلق- يمثّل إحدى الجذور النفسية لظاهرة التّنجيم والبحث عن قراءات المنجّمين إلى درجة ذهب فيها بعض المفكرين أمثال جيفونس وكيرك جورد إلى القول إنّه «إذا حذفتم القلق من ضمير الإنسانية تستطيعون أن تغلقوا الكنائس وتجعلوها قاعات رقص» وذلك في سياق ربطه ما بين التديّن والشعور بالخوف . ففي ضوء هذه القراءة النفسية الاجتماعية يتأكّد وجود علاقة بين الشعور بالخوف وعدم الأمان والقلق واللجوء إلى اللاعقلاني.

لذلك يسعى النّاس اليوم إلى التّعويض النفسي ومجابهة الشعور بالخوف والقلق بمحاولة تنشيط الوهمي والخيالي وذلك بوصف عملية التنشيط هذه آلية ذات جدوى من آليات دفاع الفرد عن نفسه ضدّ الإكراهات المختلفة التي تدفع به إلى الضّعف والخشية من المستقبل لا سيّما وأنّ الوضعية الاقتصادية هي من بين العوامل الرئيسية المتحكّمة في وجود أو مدى وجود شعور الخوف من المستقبل، ذلك أنّ الإنسان كما بيّن روجي باستيد «ليس روحا خالصة بل له جسم وحاجيات. وهو يعمل أولا كي يشبع هذه الحاجيات.»

ومن هذا المنطلق فإنّ ظاهرة التّهافت على المنجّمين في مطلع العام الجديد تمثّل في وجه من وجوهها نوعا من الإسقاطات النفسية أو حيلة لتحقيق إشباع ما.

واللافت للانتباه كذلك أنّه في الوقت التي نسجّل فيه عودة قوية لمظاهر التديّن بأشكاله المختلفة نلاحظ بشكل متواز تزايد الإقبال على عوالم التّنجيم والعرافة وهو ما يعني أنّ العلاقة بالدّين عند الكثيرين سطحيّة وهشّة وأنّ الحالة الإيمانية ضعيفة. بل إنّ الفكرة المركزية للدين الإسلامي القائمة على الإيمان بالقضاء والقدر وتقبّل أحكام الله ليست بالفكرة المتغلغلة في السّلوك التديُّني للأفراد.

فالقلوب المشرئبّة نحو العرّافين والمنجّمين وكلّها رجاء في أن يكون أصحابها من أكثر الأبراج حظّا في العام القادم هي قلوب خالية من الطمأنينة وغير قادرة على تكذيب المنجّمين ولو صدقوا.

إنّ الخوف من المستقبل سبب رئيس في إنتاج هذه الظّاهرة التي هي في تزايد، ولا شيء يدّل على أنّ العقلنة ستحدّ منها، ذلك أنّ ما يحصل في العالم اليوم من توتّرات وحروب وما تعرفه مجتمعاتنا من تدهور اقتصادي يتفاوت من بلد إلى آخر وما تشهده من أزمات البطالة العاصفة يقوّي مشاعر القلق والخوف من المستقبل ويجعل الإنسان هشّا نفسيّا، مدفوعا إلى البحث عن موارد القوّة التي قد يجدها في بعض اللحظات عند المنجّمين الذين يبشّرونه بتوقّعات إيجابية فيتضاءل الخوف إلى حين.

آ.م

يوميّـــات مـــواطن عيـــّاش

خـــرج م المـولـد بـــلاش عصيـدة!

• بقلم عادل الأحمر

قبل مدّة من المولد النبوي الشريف، لقيت صديقي العيّاش وأمورو تعمـــل الكيـــف، يمضّي في سنّيـــه ع العصيدة يتهيّـــأ لشـــراء الزقّوقو ومعه فاكية جديدة، ولم يمنعـــه ذلـــك إلا إبـــطاء الشهـــرية، وكأنها عملت عليـــه بالعـــاني في المناسبة هاذيه.

ومع اقتراب الاحتفال بمولد النبيّ الكريـــم، صادفت العيّاش في السوق يهيم ووجهه أصفر مثل كعبة ليم، فقال لي : «ألم تر أسعار الزقّوقو الغالية ؟. لقد اشتعلت فيها نار حـــامية، رفعت العصيدة إلى مقام عليّ، لا يقدر عليه إلا الغنيّ، أو تريدني والحال بهذا الغـــلاء، أن أطلق صوتي بالغناء». قلت : «وما العمل يا صديقي؟» فقال : «و الله وقد شاح ريقي، وفكري في هذا الموضوع احتار، فكيف لي أن اقدم على عصيدة تكلف أكثر من مائة دينار وإذا لم أفعل فماذا أقول للمدمّة والصغار ؟

أجبته : «ما عليك إلا أن تحزم أمرك، وتأخذ بنصيحة جمعية الدفاع عن المستهلك»، قال : «وبماذا نصحت هذه الجمعية ؟ قلت: «تقاطع الزقّوقو في الحين، وتقصّ قصة عربي ع المضاربين، أما المدمّه ولولاد فأقنعهم بالعصيدة العربي وفوائدها الصّحية، فضلا عن انخفاض كلفتها المالية !». وعلى الفور وجدت من العيّاش للمقاطعة حماسا منقطع النظير، بل أكّد لي أنّه سيكون لهذه المبادرة أحسن سفير، إذ وعد بأنّه سيبثّ الدعوة بين أفراد عائلته وكل أصحابه ومعارفه في حملة شعواء، عنوانها : «الزقّوقو لا !».

وبالفعل وجدت في الإبّان، صدى لحملة العيّاش لدى الجيران، فقد حصل بينهم شبه إجماع، على ترك الزقوقو، «على قلب كل بيّاع» يشارك في ابتزاز المواطنين، وركوب فرصة الأعياد لاستغلال مشين، فقلت في نفسي : «يعطي الصّحة للعيّاش، وهكّه روح المواطنة والا بلاش!».

لكن ليلة المولد كذبت حسن ظني بصديقي وذلك لما صادفته في طريقي، متستّرا بالظلام، يكالي في قفته مثقلة وعليها لكلام. ففهمت بالبديهة، إنّها قضية العصيدة. وعبثا حاول العيّاش إخفاء ما في قفّته، فقد اكتشفت أنّ صديقي قد تخلّى عن مقاطعته وتسّر بجناح الظلام، ليعود بقضية العصيدة إلى الأولاد والمدام.

وبالفعل أمام إصراري على معرفة سرّ القفة الخفية واتّهامي إياه بخيانة القضية، اعترف العيّاش بأنّه تقهقر عن مبادئه، إزاء ضغط عائلته، ولما قلت له : «إنّ هذه فتوى للجيعان وما تتعداش عليّ، لم ينكر قسطه من المسؤولية : «تحبّ الصحيح؟ لا لولاد ولا المدام ! أنا ما يدخلشي لمخي مولد بلا عصيدة والسلام ! ولي يحب يقاطع يقاطع هو حرّ، أما آنا منحبش نهار المولد يتعدى لي مرّ» ثـــم أضاف متوسلا : «أمّا بربّي مـــاتحـــكي ها لحكاية لحدّ وسأكون مدينا لك بهذا الجميل إلى الأبد»، فقلت: «لكن لي شروط وهي ليست بالشديدة آتيك إلى البيت إذا لأتناول صحفة عصيدة «فقال العيّاش : «هذه مساومة لئيمة، يا صاحب المبادئ العظيمة»، لكنه لم يجد من حلّ إلاّ الموافقة بالسّيف عليه، لعلمه بأنّ الاختيار ماهوش بيديه.

ومن الغد كنت مع طلوع الشمس أمام باب صديقي الأثير، فإذا به يستقبلني بوجه عابس قنطرير، فبادرته: «ما الخطب قل لي إن شاء الله خيرا !». فأجابني: وهو لي يشوف وجهك يشوف الخير ! ماو جرّة عينك الحرشة وحسد الحسّاد، رصاتلنا بلاش عصيدة لا أنا ولا المدام ولا لولاد. قلت : «وكيف ذلك ؟ قال: «سرقو لي قضية العصيدة، وأنا عند العطّار نشري في باكو سواقر ووقيدة، حطيت القفة في القاعة فإذا بيد وسط الزحمة تطير بها وبما فيها من بضاعة».

قلت للعيّاش مواسيا : «إن شاء الله دفعة بلاء»، فأجاب حانقا: «واش باش يزيدني دفع البلاء وقضية العصيدة ذهبت هباء! قلتلك عين والعياذ بالله من شرّ الحاسدين»، فرددت عليه بكلام موزون : «لا عين ولاهم يحزنون هذاكه ربي في الوجود، وحسابو موجود، بل تلك عاقبة المخاوز الذي يقول : ما لا يقوم بفعله وينهى عن أمر ويأتي بمثله. وعلى هذه الكلمات، تركت العياش وهو فاغر فاه لا يعرف كيف يردّ على هذه الكلمات».

ع.ل

مع نضوب النفط وتضاؤل الغاز الطّاقات الجديدة تروي العطش الطاقي

• بقلم رشيد خشانة

يتراجع الإنتاج الوطني من النفط عاما بعد آخر، ممّا يشكّل ضغطا على الدولة بسبب الاضطرار إلى توريد حاجات البلاد من السوق الدولية. وتناقص الإنتاج بمعدّل 10 بالمئة سنويا، إذ كان يبلغ 81 ألف برميل في اليوم سنة 2009، وانخفض في 2015 إلى 55 ألف برميل في اليوم، وهو لا يتجاوز الآن 44 ألف برميل. وأدّت الاضطرابات التي شهدتها ولاية قبلي في الشهر الماضي إلى توقف الإنتاج تماما في بئرين بالمنطقة. ويُعزى تراجع إنتاجنا من النفط الخام إلى نضوب أقدم حقل، وهو حقل البُرمة الذي انطلق إنتاجه في 1966، بعد دخول مجموعة «إيني» الإيطالية إلى تونس تفتيشا وإنتاجا. وتشكّلت لهذا الغرض «الشركة الإيطالية التونسية لاستغلال النفط SITEP». إلا أنّ المجموعة حاولت مغادرة تونس بعد الثورة، لكن تمّ إقناعها بالبقاء. وفي كل الحالات فإن ما تبقى من العمر الافتراضي للحقل قد لا يتجاوز عشر سنوات.

←

عادة ما تعتمد البلدان التي تشبه أوضاعُها أوضاعنا، على الشركات النفطية الكبرى لأنّ الاستكشاف يتطلّب استثمارات ضخمة، وهو غير مضمون النتائج، ممّا يجعل الدولة مُعرّضة لخسائر كبيرة، ولذلك فإنّ الشركات العملاقة هي وحدها التي تستطيع الإقدام على هذا النوع من المراهنة. وبعد الاتفاق بين الدولة والشركة النفطية، وفي حالة اكتشاف مخزون من المحروقات فإنّ الدولة توقّع معها اتّفاقا جديدا تتقاسم معها بموجبه النفقات التي صُرفت على التفتيش والحفر والاستخراج، كما تتقاسمان كذلك المنتوج. وتتولّى «الشركة التونسية للأنشطة البترولية»(ETAP) تمثيل الدولة في هذه العمليات، كشريك للمستثمرين الأجانب. ويُضاعفُ ارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية من أعباء تونس، إذ تمّ إعداد الموازنة الجديدة مثلا على أساس سعر مرجعي للنفط يُعادل 55 دولارا، بينما ارتفع السعر إلى 62 حاليا، وهو مُرشح للزيادة. كما أنّ انزلاق الدينار سيزيد من كلفة البرميل المستورد. وعلى سبيل المثال وجدت الحكومة نفسها مُجبرة على اقتراض 310 مليون دولار من البنك الإسلامي للتنمية من أجل ضمان استمرار تزويد البلاد بالمحروقات. وتُؤثّر عمليات الاحتجاج الجماعية، وخاصّة الاعتصامات في مواقع إنتاج النفط والغاز، تأثيرا سلبيّا بالغا في الميزان الطاقي. وبحسب المجلة الاقتصادية «أفريكان مناجير» بلغت كلفة توقّف إنتاج النفط والغاز خلال سنة 2017، حوالي 980 مليون دينار.

هل الغاز بديلٌ؟

ركّزت تونس على الغاز الطبيعي منذ الثمانينات، بوصفه مصدر طاقة أرخص وأنظف من النفط. وشجّع على هذا الخيار العثور على آبار غاز في عدّة حقول، بالإضافة إلى تقاضي تونس رسوما على مرور أنبوب الغاز الجزائري نحو إيطاليا. وأتاحت الوفرة النسبية للغاز الطبيعي توصيل الشبكة إلى عدّة مدن لاستخدامه في المصانع والفنادق والبيوت، ممّا ساهم في التخفيف من الأزمة الطاقية. لكن بعد تناقص إنتاج الغاز في الحقول التقليدية طيلة الفترة الماضية، يُتوقع أن يتحسن ميزان الطاقة، مع الانطلاق في تنفيذ مشروع «غاز الجنوب»، الذي سيضخّ الغاز إلى مدن الجنوب 2.4 مليون متر مكعب من الغاز المعالج، أي ما يُقارب نصف استهلاك البلاد من الغاز الطبيعي. وتُقدرُ كلفة هذا المشروع، الذي يُسمى «مشروع نوّارة» بـ2.9 مليار دينار. غير أنّ الاتّجاه نحو تطوير الطاقات المتجددة يبدو الخيار الأفضل لتأمين حاجاتنا من مصادر الطاقة، بسبب قلّة الكلفة، مع ضمان المحافظة على البيئة. وتأتي في مقدمة مصادر الطاقة المتجددة الشمس والرياح، فنحن بلدٌ تصل الأيام المشمسة فيه إلى 300 يوم في السنة. وستُقام في الجنوب محطّة لإنتاج الطاقة الشمسية تُنتج 210 ميغاواط في إطار شراكة بين القطاعين العام (الشركة التونسية للكهرباء والغاز) والخاصّ. وقد تلقّت الدولة العروض الخاصّة بتنفيذ القسط الأول من المشروع، ومن المتوقع أن يتمّ الاختيار في الربع الأول من العام المقبل.

أمّا القسط الثاني فيُتوقّع أن يعطي 200 ميغاواط. وقد أطلقت الشركة التونسية للكهرباء والغاز أوّل مشروع في هذا المجال في ماي الماضي بتوزر، وهو يُنتج 10 ميغاواط، ثم مشروعا آخر بقبلي سيُنتج 80 ميغاواط، وهي تجربة مع القطاع الخاصّ، سيتم تقويمها ودراستها لاحقا. وتشير التقديرات إلى أنّ تونس ستنتج ألف ميغاواط في حدود 2020، فيما يصل استهلاكنا في فترات الذروة إلى 4000 ميغاواط. مع ذلك تأمل تونس أن تنتج وتُصدّر الطاقة الشمسية، في إطار مشروع الربط الكهربائي مع أوروبا، عن طريق إيطاليا، والذي تبلغ كلفته التقديرية 600 مليون يورو، وسينقل 600 ميغاوات. وهذا المشروع قابل للمضاعفة، ومن بين أهدافه تحريك القطاع الخاصّ لكي يُباشر إقامة مشاريع مشتركة مع القطاع العام في هذا المجال المهمّ.

ومن شأن الطاقة الشمسية والطاقة الهوائية، اللتين ستُغطيان نحو 30 في المئة من حاجاتنا، أن تخلقا مشاريع في الجهات، لأنّ إقامة حقول للواقط الشمسية وطواحين الريح لا تتطلّب استثمارات ثقيلة من النوع الذي يتطلّبه البحث والتنقيب عن النفط والغاز. وبتعبير آخر فإنّ هذه المشاريع تعتبر قاطرة للتنمية الجهوية، بشرط توفير البنية الأساسية، وخاصة من الطرقات (بين البُرمة وبرج الخضراء مثلا)، وهذا ينعكس بدوره إيجابا في إيجاد فرص عمل جديدة، وإن كانت الطاقة الشمسية تُشغل أعدادا كبيرة في البداية ثم تتناقص الحاجة إلى الأيدي العاملة. وأثبتت المشاريع التي أقيمت في تلك المناطق جدواها الاقتصادية، مثل إنتاج الدقلة في البرمة على مساحة 50 هكتارا، إضافة إلى خمس مناطق إنتاج فلاحي أخرى.

ظلال الفساد

يُعتبر قطاع المحروقات في العالم من أكثر القطاعات التي يكثر فيها الفساد والتي تقترن بقلّة الشفافية وكثرة الرشاوى، بحكم ضخامة حجم المشاريع وأهميّة الإمكانات المالية. وفي أكثر من بلد، كان قسمٌ من الشركات النفطية العملاقة يطفو على سطح وسائل الإعلام بفضيحة من فضائح الفساد. ورأينا في تونس ثلاثة من الرؤساء المديرين العامين للمؤسسة التونسية للأنشطة البترولية (ETAP) يُدعون من القطب القضائي المالي في ماي 2014 للتحقيق معهم في شبهات فساد. إلا أنّ وزارة الصناعة آنذاك (التي كانت تشرف على قطاع النفط) نفت وجود أية شبهات فساد في القطاع، بينما أوردت دائرة المحاسبات في تقريرها السنوي رقم 27 أنّ شبهات فساد تحوم حول المسؤولين الثلاثة. كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الشركات الأجنبية العاملة حاليا في قطاع النفط التونسي مُسجلة في بلدان قزمية تُعتبر ملاذات آمنة جبائيا مثل جزر كايمان وبربادوس. ومنذ سنة 2000 تبُثُّ لجنة استشارية في اختيار الشركات التي يُعهد لها بالمسح والتنقيب والحفر لاستخراج النفط والغاز. وكان يرأس هذه اللجنة المدير العام للطاقة في وزارة الطاقة والمناجم والطاقات المتجددة (وزارة الصناعة سابقا)، ويتمثل أعضاؤها في عدد من المديرين بالوزارات ذات العلاقة، وهي الوزارة الأولى ووزارة الداخلية والدفاع والمالية والصناعة، إضافة إلى ممثّل عن البنك المركزي، وهو ما يعني أنّ البرلمان لم يكن ممثّلا فيها، رغم أنّه كان تابعا للسلطة التنفيذية. وسحب دستور 26 جانفي 2014 تلك الصلاحيات من اللجنة الاستشارية، وحوّلها إلى لجنة الصناعة والطاقة في مجلس نواب الشعب، ما قد يحد من مزالق الفساد، وإن كانت الثغرات مازالت قائمة.

ر.خ.

قمّة مجلس التّعاون الثّامنة والثّلاثون

هل دخل مجلس التّعاون مرحلة الموت السّريري؟

• بقلم عامر بوعزّة

انعقدت القمّة الخليجية الثّامنة والثّلاثون في الكويت في موعدها السّنوي، لكنّها لم تحقّق الا هدفا واحدا راهنت عليه دولة الكويت في المقام الأوّل وهو عقد قمّة رغم الخلافات غير المسبوقة التي تعصف بالبيت الخليجي، وبذلك حرصت الدول الست بدرجة حماس متفاوتة على منع انهيار هذه المنظمة الإقليمية أو تأجيله إلى حين.

انعقدت القمّة ولم يحضرها قادة السعودية والبحرين والإمارات فيما حرص أمير دولة قطر على ترؤس وفد بلاده، لكنّ البيان الختامي لم يتعرّض للخلاف بين قطر وثلاثة من دول مجلس التّعاون ما يدل على رغبة هذه الدول في أنّ تظل الأزمة خارج أجندات المجلس، في المقابل حضرت إيران في هذا البيان بشكل مكثف يعكس الموقع الذي تحتله في هواجس قادة دول الخليج، سواء أكان ذلك في علاقة بما يحدث على ساحة الخلاف الخليجي أو بما تمثله من تهديد مباشر للأمن القومي في المنطقة أو دورها المؤثر في اليمن لا سيما في ظل التطورات الدراماتيكية التي شهدتها الحرب هناك قبيل انعقاد القمّة.←

بعد ساعات قليلة من إعلان السعودية والإمارات والبحرين ومصر (وعدة دول أخرى ضعيفة التأثير) مقاطعة قطر وغلق الحدود البرية والبحرية والجوية معها في الخامس من جوان 2017، سارع البرلمان التركي إلى المصادقة على قرار إرسال قوّات عسكرية إلى قطر تفعيلا لاتفاقية تعاون دفاعي موقعة بين البلدين منذ 2001، لكن رغم تحسّبها ميدانيا من أي تحرّك عسكري متوقّع بغاية قلب النظام، ما انفكّت الدّوحة تدعو إلى الجلوس إلى طاولة الحوار لإيجاد مخرج لهذه الأزمة، والحوار من وجهة النّظر القطرية يستوجب توفّر جملة من الشّروط أهمها التكافؤ وعدم فرض شروط مسبّقة ناهيك عن عدم التّدخل في سياستها الداخلية، الأمر الذي ترفضه الدول الأخرى، إذ يرتكز تصوّرها للحلّ على ضرورة أن تستجيب الدوحة إلى المطالب الثلاثة عشر التي قُدّمت لها في شهر جوان، والتي تتضمّن تخفيض التّمثيل الديبلوماسي مع إيران ووقف التّعاون العسكري مع تركيا وغلق قناة الجزيرة. قطر اعتبرت أنّ هذه المطالب تمثّل تدخّلا خارجيا في سياستها الداخلية ودعت في المقابل إلى الحوار معتبرة أنّ مجلس التّعاون يمثّل أفضل إطار لذلك، وجاءت مشاركة أمير قطر على رأس وفد بلاده في قمّة الكويت تجسيدا عمليا لهذا الاستعداد، لا سيّما وأنّ قطر ما فتئت تثمّن جهود الوساطة الديبلوماسية التي يقودها أمير الكويت منذ اندلاع الأزمة دون أن تسفر عن نتائج ملموسة أو تحقّق تقدّما يذكر، وتأتي مشاركة السعودية والبحرين والإمارات بتمثيل سياسي ضعيف لتؤكّد عدم رغبة هذه الدول في تكرار مآلات الأزمة الأولى التي انتهت باتّفاق الرياض للعام 2013 والاتّفاق التكميلي وآلياته التنفيذية للعام 2014 في إطار مجلس التّعاون الخليجي. تستند هذه الدول في رفضها تكرار هذا السيناريو إلى اتهام قطر بعدم تنفيذ بنود اتّفاق الرياض والاتّفاق التكميلي والذي محوره الأساس «وقف دعم الإخوان المسلمين أو المنظمات والأفراد الذين يهدّدون أمن واستقرار دول مجلس التّعاون عن طريق العمل الأمني المباشر أو عن طريق محاولة التأثير السياسي». من جهتها تحرص قطر على العودة إلى هذا السيناريو وقبول الحوار في إطار البيت الخليجي لتأكيدها على أنّ ما تضمّنته وثيقة الرياض لا تمثل تعهّدات قطرية بقدر ما تمثّل التزاما جماعيا ينبغي أن تخضع له كلّ الدّول الموقّعة عليه. وانتهت القمّة القصيرة زمنيا دون وضع الأزمة القائمة بين دول الخليج على طاولة الحوار لانعدام شروطه الموضوعية الدنيا ومن أبرزها تكافؤ التمثيل السياسي، وبذلك تظل الأزمة تراوح مكانها وهو ما تسعى إليه الدول التي تفرض حصارا على قطر والتي لا تخفي رغبتها في إطالة أمد الأزمة واستغلال عامل الوقت لإحراج قطر أكثر باعتبار التداعيات الاقتصادية والاستحقاقات التي تتأهّب لها الدوحة.

القمّة وطاحونة الشّيء المعتاد

البيان الصّادر في أعقاب القمّة تضمّن تأكيدا على أهمية دور مجلس التّعاون وتماسكه ووحدة الصف بين أعضائه، لما يربط بينها من «علاقات خاصّة وسمات مشتركة وأنظمة متشابهة أساسها العقيدة الإسلامية، والمصير المشترك ووحدة الهدف التي تجمع بين شعوبها، ورغبتها في تحقيق المزيد من التنسيق والتكامل والترابط بينها في جميع الميادين»، لكن هذه الإشارة تبدو أكثر من أيّ وقت مضى ضرورة بروتوكولية لا غير، حيث ظلّت بقية بنود البيان تدور حول المسائل الاستراتيجية التي تمثّل جوهر الأزمة العالقة: إيران والأمن القومي ومكافحة الإرهاب. ليس في ذلك أيّ تناقض أو مفارقة، فدول الخليج الست متّفقة جميعها في هذه النقاط كلّها من حيث المبدأ، لكنّها تختلف اختلافا جذريا في آليات المعالجة، وتجذّر هذا الاختلاف حدّ التصادم إثر انعقاد القمّة الخليجية الأمريكية في الرياض في ماي 2017، حيث بدا أن تغيّر السياسة الأمريكية كفيل بفضح هشاشة التوافقات الخليجية ووضعها في مهبّ الرياح.

لقد شكّل وضْع إيران الجديد على الساحة الدولية بعد الاتّفاق النّووي متغيّرا أساسيا في علاقاتها مع دول الخليج التي أضحت تعتبرها أكثر من ذي قبل مصدر تهديد للأمن القومي الخليجي، وبيان القمّة في بنده العشرين يدين «السياسات الإيرانية تجاه المنطقة بأبعادها النووية، وتوسيع برنامج صواريخها الباليستية، في انتهاك واضح لقراري مجلس الأمن 1929 و2231، وتدخلها في تقويض الأمن والاستقرار»، يأتي ذلك في سياق الرّبط بين التصدي للسياسة الإيرانية ومكافحة الإرهاب ومخاطبة إيران بلهجة شديدة في ظلّ تقارب مصلحي مع البيت الأبيض. وتحت هذا الغطاء كذلك تناول بيان القمة الوضع في اليمن معتبرا عملية تصفية الرّئيس اليمني السّابق علي عبد الله صالح في صنعاء «جزءا من عملية ترويع ممنهجة للشعب اليمني» بما يدخل الجمهورية اليمنية في منعطف حاسم وخطير يتطلّب الالتفاف والتكاتف للتخلص من المليشيات الحوثية التابعة والمدعومة من إيران والحفاظ على اليمن ضمن محيطه الطبيعي العربي». القمّة أكّدت على أنّ حلّ الأزمة في اليمن لا يمكن أن يتمّ الا بالعودة إلى قرار مجلس الأمن رقم 2216 والمبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية.

هي بلا شكّ القمة الخليجية الأقصر في تاريخ منظّمة مجلس التّعاون لدول الخليج العربية لكنّها أيضا الأكثر رمزية، حيث اكتفى كلّ مشارك فيها بتوجيه رسالة إلى الطّرف الآخر. قطر من خلال مشاركة أميرها تؤكّد حرصها على الحوار، فيما توجّه السعودية والبحرين والإمارات بغياب قادتها رسالة أولى مفادها أن حلّ الخلاف مع قطر لن يكون على الأقلّ في الأمد المنظور في إطار خليجي، وأن لا جديد يستدعي الإسراع في فضّ هذه الأزمة. ولئن كان الخلاف الخليجي قد وضع منذ بدايته منظّمة مجلس التّعاون أمام الامتحان الأصعب في تاريخها إطلاقا فإنّ هذه القمّة لم تقدّم إجابات حاسمة حول مصير هذا الهيكل السياسي الإقليمي الهام رغم التطرق مجدّدا إلى المساعي السعودية الرّامية إلى تحويل المجلس إلى اتّحاد، يعني هذا ضمنيا أنّ المجلس سيدخل الآن مرحلة السّبات في انتظار القمّة المقبلة، وهو ما يمكن أن يكون هذه المرّة دخولا حقيقيا في مرحلة موت سريري غير معلن.

ع.ب.

السعـــــوديـــة وإيـــران
الحـــرب الـــمـعـلـــنـة

• بقلم حنان زبيس

فجّرت الأزمة اللبنانية الأخيرة الصراع المعلن بين العربية السعودية وايران، صراع بدت ملامحه تتشكل على عديد الجبهات منها العراقية والسورية واليمنية. ولا يبدو أن السعودية تعمل بمفردها في هذه الحرب المفتوحة على إيران وإنما تجد دعما لا محدودا من الولايات المتحدة التي ضاقت ذرعا بالتمدد الإيراني في المنطقة، خاصة خلال الحرب على داعش.←

مع القضاء على التنظيم، والتغيير في موازين القوى على أرض الواقع، بات واضحا أن الصراعات غير المعلنة بين مختلف الأطراف المؤثرة في المنطقة ستطفو من جديد على السطح.

الأزمة اللبنانية وانفجار الصراع

شكّلت استقالة رئيس الحكومة اللبناني، سعد الحريري زلزالا على مستوى الساحة الشرق الأوسطية والعالمية، استقالة تم إعلانها من السعودية وتراجع عنها الحريري وقد تضمّنت اتهامات لحزب الله وايران، لتفجّر بداية حرب مفتوحة بين السعودية وإيران، حرب بالوكالة يخوضها البلَدان عبر ممثّليهم في المنطقة.

حاولت السعودية من خلال عملية احتجاز الحريري قبل أن يعود إلى بيروت الضّغط على حزب الله وتحريك الساحة السياسة الداخلية اللبنانية ضدّه لإجباره على الانسحاب من العراق وسوريا وكلّ المناطق التي يقاتل فيها خارج لبنان، لكن حزب الله فهم المناورة وتدخّل حسن نصر الله، قائد الحزب، في اليوم الموالي لإعلان الحريري استقالته، ليقلب اللعبة ويوجّهها ضدّ السعودية نفسها، مندّدا باحتجازها القسري لرئيس الحكومة اللبناني. مناورة السعودية أتت في وقت تشهد فيه المملكة تغيّرات داخلية كبيرة يقوم بها ولي العهد الجديد، محمد بن سلمان، أهمّها الحملة التي أطلقها ضدّ الفساد والتي أسفرت عن إلقاء القبض على أمراء ووزراء ومسؤولين رفيعين في المملكة.، حيث يحاول بن سلمان تركيز حكمه وإيجاد موارد مالية للسعودية التي استنزفتها الحرب على اليمن وفي نفس الوقت، يسعى إلى إثبات ذاته من خلال العمل على لعب دور جديد في المنطقة بالتصدي لإيران، متلقّيا في ذلك دعما من الرئيس الأمريكي ترامب ومن إسرائيل التي يعمل حاليا على التقارب معها. السعودية بدت وكأنّها انتبهت بعد انتهاء الحرب على داعش إلى النفوذ الإيراني المتمدّد في المنطقة، فأرادت أن توقفه وكانت الخطوة الأولى في لبنان ضدّ حزب الله، الذّراع الإيراني في البلاد.

حزب الله وإن أبدى استعداده للانسحاب من العراق وسوريا بعد انتهاء الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية، في خطوة لإحداث التهدئة على مستوى الساحة اللبنانية الداخلية، فإنّه عبّر عن عدم نيته التخلّي عن نفوذه في لبنان وعن تمثيل مصالح إيران فيه. وبذلك فإنّ مناورة السعودية قد فشلت في زعزعة مكانة الحزب في لبنان.

المواجهة في اليمن والسعي لتحديد البرنامج النووي الإيراني

المملكة فشلت أيضا في وضع حدّ للحرب في اليمن والقضاء على المتمرّدين الحوثيين الذين أصبحوا يتجاسرون على الرياض نفسها عبر إطلاق صواريخ بالستية نحوها، آخرها صاروخ اعترضته القوات السعودية فوق مطار الرياض وكان موجّها مباشرة إلى العاصمة. هذا الصاروخ الأخير أشعل غضب السعوديين الذين رأوا فيه تهديدا جديّا لأمنهم وسارعوا باتّهام إيران بدعم القدرات القتالية للحوثيين، حيث اعتبر التحالف العربي بقيادة السعودية في بيان له أنّ تزويد ايران للحوثيين بالصواريخ البالستية هو «عدوان عسكري سافر ومباشر من قبل النظام الإيراني، قد يرقى لاعتباره عملا من أعمال الحرب ضدّ المملكة».

ولم تكتف السعودية بذلك بل دعت إلى اجتماع طارئ لجامعة الدول العربية أسفر عن بيان حادّ اللهجة ضدّ إيران تمّ اتّهامها فيه بتهديد العديد من العواصم العربية وبنشر مجموعات إرهابية فيها وتمّ فيه أيضا التعبير عن نيّة الدول العربية للتوجه إلى مجلس الأمن لوضع حدّ لتدخلات إيران فيها.

السعودية الغارقة في المستنقع اليمني لا تأمل في الخروج منه إلا باستهداف إيران مباشرة والسعي إلى الحدّ من منظومتها النووية وذلك عبر التقارب من إسرائيل من جهة ودفع المجتمع الدولي لفرض عقوبات إضافيّة من أجل الحدّ من البرنامج النووي الإيراني من جهة أخرى، وهو ما يفسّر تصريحات الرئيس الفرنسي حول ضرورة إجراء مفاوضات جديدة مع إيران فيما يخصّ منظومة صواريخها البالستية. الشيء الذي دفع نائب القائد العام للحرس الثوري، حسين سلامي، إلى تحذير أوروبا مـــن عدم التدخل في البرنامج الصـاروخي الإيـــراني.

محاولة إعادة العراق إلى الحاضنة العربية عدا السّاحتين اللبنانية واليمنية، تتواجه القوّتان الإقليميتان، السعودية والإيرانية في ساحات أخرى وهي أساسا العراق وسوريا. فعلى الساحة العراقية، سجّلت السعودية عودتها إلى هذا البلد الذي سلمته الولايات المتحدة الأمريكية بيد إيران منذ سقوط صدام حسين، حيث تمّت إعادة فتح منفذ عرر الحدودي بين البلدين في أوت الماضي واستئناف الرحلات الجويّة التجارية التي كانت مقطوعة منذ 1990، بالإضافة إلى تأسيس «مجلس تنسيقي مشترك» وإعادة فتح سفارة السعودية في العراق . كما أنّ السعودية أبدت استعدادها للمشاركة في مجهود إعمار العراق ما بعد الحرب على داعش. وقد تتالت خلال هذه السنة الزيارات بين البلدين لمسؤولين حكوميين، فقد زار رئيس الحكومة العراقية، حيدر العبادي السعودية في جوان الماضي كما زار وزير الخارجية السعودي، عادل الجبير، العراق أيضا.

يأتي هذ التقارب بمباركة أمريكية، إذ تسعى الولايات المتحدة إلى محاولة إعادة العراق إلى الحاضنة العربية في محاولة لإبعاده شيئا فشيئا عن النفوذ الإيراني.

في المقابل، لا يبدو أنّ هذا التقارب السعودي-العراقي يقلق إيران التي شدّدت أكثر قبضتها على العراق بعد النّجاحات التي حقّقتها في الحرب على داعش في هذا البلد والمساهمة في تحريره عبر ميليشيات الحشد الشعبي. فانتهاء هذه الحرب خلّف واقعا جديدا يصبّ كلّه في مصلحة ايران التي خرجت كالمنتصر الوحيد في هذه الحرب، حيث تمكّنت من ربط الحدود العراقية والحدود السورية وتحقيق حلمها بفتح طريق لطهران نحو المتوسّط يمرّ من العراق وسوريا ولبنان.

التسوية السورية والتّقارب مع إسرائيل

على السّاحة السورية، يتواجه البلدان حاليا حول التسوية السلمية للحرب في سوريا بعد أن تواجها خلال الصّراع الدموي بمساندة طرفي الحرب، النظام السوري والمعارضة. حاولت السعودية في مؤتمر الرياض2 تجميع المعارضة السورية وإخراج قيادة جديدة أكثر مرونة وأكثر استعدادا لتقديم تنازلات للوصول إلى تسوية سلمية للنزاع. في نفس الوقت، اجتمعت روسيا وإيران وتركيا في مؤتمر سوتشي للاتّفاق على الخطوات التي يجب اتخاذها لإطلاق الحوار الوطني داخل سوريا ووضع الدستور الجديد، مع التأكيد على ضرورة قيام كلّ الأطراف في النزاع «بتنازلات» بما فيها النّظام السوري. وقد اعتبر العديد من الملاحظين أنّ سعي السعودية إلى عادة ترتيب المعارضة هو محاولة منها للتقرب للطرف الرّوسي المنتصر الكبير في الأزمة السورية.

طرف جديد تحاول السعودية التقرب منه وهو الطرف الإسرائيلي التي أصبحت تعتبره حليفا قويّا في مواجهة إيران، حيث يخشى البلدان من التمدّد الإيراني في المنطقة بما يهدّد نفوذهما وكذلك من المنظومة النووية الإيرانية. هذا التقارب لا تجد اسرائيل حرجا في الإعلان عنه على خلاف السعودية، حيث صرّح مؤخّرا رئيس أركان الجيش الاسرائيلي بأنّ «هناك مصالح مشتركة بين البلدين وأنّهما في توافق تامّ فيما يتعلّق بالمحور الإيراني». ويذكر أنّ هذا التقارب يأتي في الوقت الذي لا تنفكّ اسرائيل ترسل تهديدات لحزب الله في لبنان وتتوعّده بعمليات عسكرية قريبة ضدّه.

على مختلف الجبهات تسعى السعودية إلى الحدّ من النّفوذ الإيراني مختارة سياسة المواجهة المفتوحة والصّريحة ومستغلّة في ذلك كلّ التحالفات الممكنة، فالصّراع السني- الشيعي الذي يمثّل أرضية الخلاف بين البلدين أصبح اليوم صراع نفوذ وهيمنة على الشرق الأوسط. وإن يتحاشى الجانبان الدّخول في مواجهة عسكرية مباشرة، فإنّه من المتوقّع أن تتواصل الحروب بالوكالة التي أطلقاها في عديد البلدان بالمنطقة مشعلة فيها المزيد من الصّراعات والانقسامات.

ح.ز.

SIMPAR
ISO 9001

RESIDENCE LES MIMOSAS
LA MARSA

SIMPAR
71 840 244 / 29 921 009
www.simpar.tn
simpar@planet.tn

Localisation de la résidence

Situé à la banlieue nord de Tunis sur la Route de Gammarth, cité Erriadh, cet ensemble immobilier de haut standing est proche des divers équipements commerciaux et scolaires. En un rien de temps, vous êtes au centre de la Marsa, à Sidi bou said, à Carthage ou à Gammarth.
Il abrite 3 immeubles du type R2+ qui desservent 17 appartements et doté d'un grand parking sous-sol.
Vous découvrirez des prestations de qualité pour un vrai confort de vie.

توزر بهيّة المدائن في صحراء تونس

أتعلمون أنّ الصّحراء التونسية جزء من العِرْق الشرقي الكبير؟ نعم! هي الصحراء بِطُمِّ طَميمِها.. «الصّحراء».. كلمة ساحرة تأخذ بمجامع القلوب، الصّحراء.. تراودك في أحلامك لكنّها غير بعيدة عنك. هي في المتناول تماما. الظّروف الطبيعية والمناخية في هذا الوقت مؤاتية تماما للتّجوال عبر الكثبان الرملية. الفنادق في الجنوب التونسي التي تتسع لما لا يقل عن 11 ألف سرير تستقبل السواح بأعداد لا يستهان بها ودون انقطاع. الصّحراء في انتظارك إذًا ، وسوف تكشف لك عن كلّ أسرارها. تُقدِّم الصحراء لضيوفها أحلى الصّوَر، سحرها يهزّ النّفوس بقوّة، يلهب الأحاسيس ويثير الخواطر.

أصْغِ لصوت الصّحراء يناديك في كلّ وقت.. حين اشتداد الحرّ وحين برودة الشتاء.. تحت سماء لا تغيب زرقتها.. الصّحراء قريبة منك، تدعوك لزيارة واحاتها وقد روتْها مياه العيون المتدفّقة، وأشرقت بين جنباتها أنوار تخالها سبائك من الذّهب الخالص... تتراءى لعين النّاظر من خلال سراب تحسبه ماءً ولا تجد إليه مَنْفَذا عبر سهْل شطّ الجريد.. تدعوك لمشاهدة فِجاجها و وِهادها في جهة «ميداس» الفاتنة، تلك القرية الصّغيرة المُطِلّة على واحات توزر الغنّاء، والاستمتاع بمشهد الرُّبى الرملية ذهبيّة اللون.. كل ذلك متاح لك في براري لا تفصلها عن أوروبا إلا ساعات قليلة: بوسعك أن تنطلق في جولة ممتعة عبر الجنوب التونسي انطلاقا من عاصمته الصغيرة تورز.. جولة تأخذك بعيدا بعيدا عما هو معتاد ومألوف لديك: هنا تتوالى المشاهد وتتدافع بشكل رائع.

فلاسفة وشعراء وفلكيون وعرّافون كُثُر هاموا بتوزر وفتنهم بهاؤها.. هي إحدى أبهى المدائن وأكثرها ازدهارا في هذا الجنوب التونسي بعمارته التقليدية المنقطعة النظير؛ بما يزخر به من موروث طبيعي وثقافي فريد. الجهة فخورة بأصولها البربرية.. شهدت عبر العصور والأحقاب توالي حضارات عديدة بدءا بالفينيقيين وانتهاء إلى العرب، مرورا بالرومان والبيزنطيين، حضارات خلّفت تراثا ثقافيا في منتهى الثّراء والتّنوّع.

المولعون بالاكتشاف ومريدو الثقافة، الرّحّالة المغرمون بالتّسَوُّح والتّجوال مشيا على الأقدام أو بركوب الدراجات، المهتمّون ببعض العلوم كالجيولوجيا والحفريات القديمة والفلك.. كل هؤلاء يجدون ضالتهم في هذا الخلاء الخلاّب ووسط سكون الكثبان، في إطار رحلة ليست ككلّ الرحلات، رحلة لا تخضع لمقاييس السياحة المألوفة والرحلات الجماعية المعتادة.

موطن الجمال والأصالة في انتظارك، موطن معطاء سخيّ على أهبة تامة لاستقبال كلّ الذين يستوقفهم الجمال، ويبحثون عن الهدوء والسكينة، وتستهويهم روعة الصّحاري.. فأهلا وسهلا.

برج الضيافة بصفاقس
لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة «النّزل ذات الطابع المميّز» Hôtel de Charme من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثّف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخّصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وعدم تجاوز طاقة الإيواء 50 سريرا وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.←

كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف ISO 9001 وISO 22000 وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات الراقية المسدات من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+
sfax@hotelborjdhiafa.com
برج الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

■ جلال بن عبد الله في مرسمه

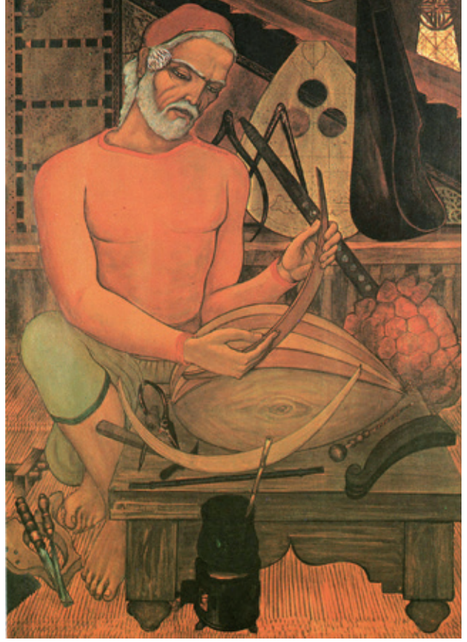

■ صانع الآلات الموسيقية. أكريليك وورق ذهب (97x67) ـ 1965

فنّ جلال بن عبد الله
سياحة طويلة على تخوم الواقع والأسطورة

• بقلم علي اللواتي

في التّاسع من نوفمبر الماضي ودّعت السّاحة الفنيّة المرحوم جلال بن عبد الله، أحد أشهر الرّسّامين التّونسيين عن سنّ ستّة وتسعين عاما تفرّغ خلالها لبناء رؤية خاصّة للحياة التّقليديّة ضمن مسار فنيّ بين الواقع والخيال. ومما يميّز تجربته عن بقيّة زملائه من جماعة «مدرسة تونس الذين يشاركونه الاحتفاء بالتّراث الشّعبيّ، نزوعه نحو مثاليّة شعريّة تتعالى عن الواقع اليوميّ ولا تحفل بالصيرورة الزّمنيّة. ويتبدّى ذلك شكلا ومضمونا في استلهامه للمنمنمة الإسلاميّة وبعض تواضعات التّراث البيزنطي وملامح من فنّ عصر النهضة الأوروبي، مع اختيار مضامين يغلب عليها التّأمّل والسّكونيّة. كما يكشفُ ولَعُهُ بالتّفاصيل الزّخرفيّة عن صلته بالأنماط الحرَفيّة المحليّة، ويشير كل ذلك إلى ثقافة تشكيليّة واسعة ومسار تأليفيّ يجمع بين تقاليد فنيّة مَختلفة.←

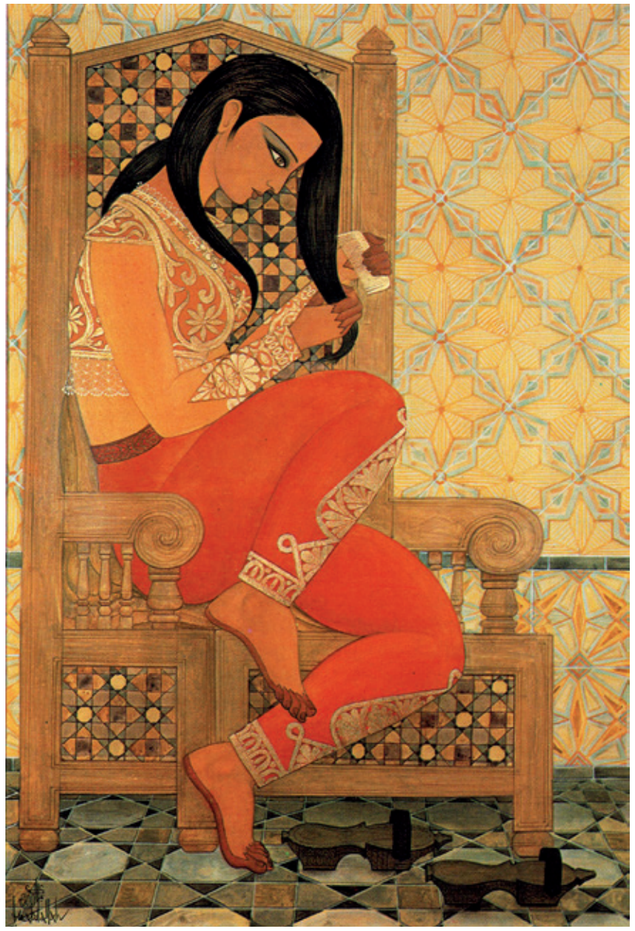

■ المشط. أكريليك وورق ذهب(97x67) 1982

ولد

جلال بن عبد الله يوم 26 ماي سنة 1921 بتونس (حيّ باب المنارة) وظهر ولَعُهُ بالتّصوير منذ الصّغر؛ وبعد الدّراسة بمعهد كارنو بدأ مسيرته الفنيّة في سنّ السّابعة عشر بإقامة معارض فرديّة والمساهمة في تظاهرات جماعيّة. كان قد مضى نحو نصف قرن على تأسيس «الصّالون التّونسي» عندما شارك فيه لأوّل مرّة سنة 1942 بلوحة عنوانها «أمومة» وعاد ليشارك فيه ثانية سنة 1945 بلوحة عنوانها «امرأة في شرفة». لم يكن الرّسّام في بداياته يختلف أسلوبيا عن غيره من فنّاني «الصّالون» ممّن اعتادوا تقليد الاتّجاهات السّائدة كالاستشراق الفنّي في نهاياته أو الانطباعيّة أو التكعيبيّة الأكاديميّة، فالبيئة الفنيّة الاستعماريّة كانت تميل، آنذاك، إلى اجترار الموضوعات والأساليب ولا تتأثّر إلاّ نادرا بما يجدّ من تحوّلات فنيّة عميقة في أوروبا.

الرحلات الفنيّة الأولى إلى أوروبا

حصل جلال بن عبد الله سنة 1948 على جائزة في الرّسم مع منحة سفر لمدّة ثلاثة أشهر قضاها خلال العام الموالي بباريس حيث اختلط بفنّاني حيّ مونبرناس ثم انتقل إلى روما ليلتقي بالرّسام موزس ليفي، ومنها إلى فلورنسا والبندقيّة في رحلة اطّلاع على تراث الرّسّامين «البدائيين» الإيطاليين وفنون عصر النّهضة. وقد سنحت له سنة 1950 فرصة الإقامة ثلاثة أشهر بستوكهولم في ضيافة الرّسّام علي بن سالم وهو من الذين تأثّر بهم في بداياته. وفي العام 1951، كُلِّفَ بإنجاز جِداريّةٍ كبيرة في «دار تونس»، مبيت الطّلبة التّونسيين بباريس، فطاب له المقام في العاصمة الفرنسيّة لفترة سنتين عمّق خلالها تجربته الفنيّة وأنجز الكثير من الأعمال في مرسم كان للفنّان الفرنسي الشّهير أوغيست ماتيس (Auguste Matisse).

جلال بن عبد الله ومدرسة تونس

كان جلال بن عبد الله من أوّل المنتمين إلى جماعة فنيّة تأسّست في أواخر الأربعينات من القرن الماضي أطلق عليها إسم «مدرسة تونس» وضمّت ثلّة من الفنّانين الأجانب والتونسيين منهم بيير بوشارل (Pierre Boucherle)، أوّل رئيس لها، وموزس ليفي (Mosès-Levy) وجول للّوش (Jules Lellouche) ويحي التّركي والهادي التّركي وعمّار فرحات وعبد العزيز قرجي؛ ثمّ التحق بهم في الخمسينات إدغار نقّاش (Edgar Naccache) وعلي بن الآغا والزّبير التّركي وإبراهيم الضّحّاك وآخرون. وقد ظلّ الرّسّام يشارك بانتظام في معارض «مدرسة تونس» حتّى نهايتها إثر وفاة عبد العزيز قرجي، آخر رؤسائها في العام 2008.

جلال بن عبد الله والتّراث

يبدو جلال بن عبد الله من أكثر أعضاء مدرسة تونس تعلّقا بالتّراث ومظاهر الحياة الشّعبيّة كمرجعيّة ثابتة من خلال مواضيع متواترة تروي ما بقي من مظاهر الحياة القديمة بعاداتها وتقاليدها ونماذجها الإنسانيّة وأحيازها المعماريّة وتراثها الزّخرفيّ والحِرَفي؛ وكان يصوّرها أحيانا بدقّة تسجيلية. ويكاد يمثّل منجزه الثّريّ تيّارا تأصيليّا قائما بذاته استمرّ على مدى نحو سبعة عقود مع بعض التّحولات في الأسلوب والمواضيع.

■ طبيعة صامتة مع الأسماك. منمنمة (1210 x صم) 1969

تجديد الصّلة بالمنمنمة الإسلاميّة

إذا كان رسّامو مدرسة تونس قد وجدوا في سبر الذّاكرة الجماعيّة وسيلةً للتّعبير عن الواقع المحلّي والتّخلّص، إلى حدّ ما، من تواضعات الفنّ الغربي، فإنّهم سلكوا في ذلك طرائق مختلفة تتراوح بين الإيحاء والرّمز وبين المباشرة والتناول الواقعي للموضوع. وبينما كان عمّار فرحات والزّبير التّركي يميلان إلى المشاهد الشّعبيّة القريبة من الحياة اليوميّة في المدينة العتيقة حيث تبدو الشّخوص تنبض بحياة نفسيّة وتشير إلى مرجعيّة اجتماعيّة واضحة، نرى جلال بن عبد الله وعبد العزيز قرجي يتعاملان مع تلك المشاهد عبر طرح شكلانيّ يتّخذ من الموضوع مجرّد ذريعة لإنجاز منظومة خطوط وألوان خاصّة كما نلاحظه في اختيارهما، في مرحلة ما، للمنمنمة القديمة نموذجا. وفي حين اقتصر قرجي على التّأثّر بالمنمنمة الإسلاميّة الأصيلة محتفظا بقِيَمِها الشّكليّة المعروفة في بناء الحيّز الجمالي، خيّرَ جلال بن عبد الله إلى مزجها بتقاليد أخرى بيزنطيّة شرقيّة أو أوروبيّة غربيّة إلى حدّ إخضاع الموضوع التّونسيّ لمعالجة تبتعد به عن الواقع المعيش وتحلّق به في أجواء شعريّة تتقاطع فيها ثقافات عدّة. وتظلّ المنمنمة ذات الأبعاد الصّغيرة، مع ذلك، هي الأقرب إلى الواقع المحلّي بتصويرها أجواء قرية سيدي أبي سعيد وإطارها المعماري، وقد استغرقت من جهده عقدين من الزّمن، من أواخر الخمسينات حتّى بداية السّبعينات. وكان يعرض تلك المنمنمات بانتظام في «قاعة الفنون» (نهج ابن خلدون) بالعاصمة.

مرحلة التّحوّلات الأسلوبيّة والجماليّة

في بداية السّبعينات، أسّس عبد العزيز قرجي رئيس جماعة «مدرسة تونس» قاعة عرض واسعة بمواصفات حِرَفيّة وكان لها أثر واضح وموقع مميّز في الحياة الفنيّة. وهي الفترة التّي انتقل فيها جلال بن عبد الله من المنمنمة بمقاساتها المحدودة إلى اللّوحات ذات الحجم الكبير واستعاض عن الألوان المائيّة والصّمغيّة بالأكريليك والأصباغ الذّهبيّة؛ كما استبدل مواضيع المشاهد الشّعبيّة والطّبيعة الجامدة وشرفات سيّدي أبي سعيد ومنظـــر «جبـــل بو قرنين» في الأفق بأحياز حميميّة منغلقة تهيمن عليها المرأة المستغرقة في طقوسها الأنثويّة، من خلال أسلوب يؤلّفُ بين جماليات من آفاق مختلفة. فنراه يستبدل الحيّز المسطّح الموروث عن التّقاليد الإسلاميّة بتصوير العمـــق حسب قواعد المنظور (perspective) الكلاسيكي؛ كما نراه يعتمد القَوْلَبَة (modelé) في رسم الشّخوص والأشياء ويُلِحُّ على التّداخل بين الظّلال والأضواء (clair-obscur)، وأحيـــانا أخرى يرسم الشّخوص في أوضاع مواجهة أماميّة (frontalité) حسب جماليات التّصوير والنّحت في الحضارات القديمة وفي الأيقونة البيزنطيّة. وتعكس تلك التّحوّلات في الأسلوب نضج تجربة تأليفيّة أفادت من ثقافات فنيّة مختلفة.

عالم أنيق هادئ وسط ضجيج العصر

بعد عودته من باريس في بداية الخمسينات، استقرّ جلال بن عبد الله منذ سنة 1953 وحتّى نهاية حياته، في قرية سيّدي أبي سعيد، متّخذا من جبل المنار رِبَاطًا يخلو فيه إلى نفسه ويفرغ إلى خيالاته الشّعريّة في شبه عزلة عن ضجيج الحياة العامّة التي كان ينفر منها. ظلّت القرية دائمة الحضور في رسومه ماديًا بعمارتها ونوافذها المفتوحة على الخليج، وروحيًا بأجوائها الصّوفيّة التي تنفذ حتّى إلى مشاهده الدّاخليّة الشّبيهة بخلوات الأولياء. ولئن شملت أعماله مظاهر مختلفة من حياة المجتمع فاهتمّ بتصوير أصحاب المهن وشيوخ العلم وغيرهم، إلاّ أنّه خصّ النّساء بالحظّ الأوفر من إبداعاته حيث يصوّرهنّ حالماتٍ في خدورهنّ، أو معتنياتٍ بزينتهنّ أو مستغرقات في العزف على الآلات الموسيقيّة، بألبستهنّ التّقليديّة الموشّاة بالذّهب والفضّة ضمن إطار معماريّ تقليديّ مزخرف؛ ونرى في ملامحهنّ صفاتٍ من الجمال العربي والتّركيّ واليوناني والإفريقيّ ممّا يجعل فنّ جلال بن عبد الله تصنيفا نموذجيًا عريضا للجمال الأنثويّ. واللاّفت في ذلك العالم الأنيق المُنَغَّم التحافُه بغشاء من الصّمت والسّكون والمهابة يُذكّر بأجواء الأساطير والخرافات القديمة.

ذاك هو العالم الذي حفل به مخيال المرحوم جلال بن عبد الله منذ شبابه الأوّل فعمل على تجسيده في أعماله بحثا عن صيغ متجدّدة لمفهومه المثالي للجمال؛ وبوفاته بعد عمر طويل أمضاه في صياغة صورة بين الواقع والأسطورة للحضارة في تونس، تنتهي حقبة ثريّة من تاريخ الفنّ التّونسيّ الحديث.

ع.ل.

فيلم «الجايدة»
صفحة من نضال المرأة التونسية ضدّ الإذلال والاضطهاد

• بقلم الدكتور محمد ناظم الوسلاتي

بعد فترة غياب طويلة عن الساحة السينمائية، تعود سلمى بكار المخرجة المخضرمة والناشطة السياسية لتطل علينا بفيلم جديد من كتابتها وإخراجها، واصلت من خلاله رحلة البحث في تاريخ المرأة التونسية والانتهاكات الجسيمة التي تعرضت إليها في فترة ما قبل الاستقلال وقبل صدور مجلة الأحوال الشخصية.

«الجايدة» هو العنوان الذي اختارته سلمى بكار لرابع الأفلام الروائية الطويلة التي أنتجتها خلال مسيرتها السينمائية الحافلة بالكثير من الأعمال الراقية، حيث تمّ تقديمه لأول مرّة ضمن فعاليات الدورة الأخيرة لأيام قرطاج السينمائية، خارج المسابقة الرسمية، ولا تتجاوز مدة عرضه الساعتين (110 دقائق).←

جرأة في طرح الموضوع

في البداية، لابدّ أن نثني على جرأة مخرجة العمل التي تتجلّى في إثارة موضوع يساعد على استعادة جزء من تاريخ تونس ويساهم في تغذية الذاكرة الجماعية في إطار تعزيز الدفاع عن حقوق المرأة وإذكاء الوعي بهذه القضية. ومن المؤكد أنّ سلمى بكار تلتزم بهذا الاختيار وتؤمن به، لدرجة أنّ فيلمها الجديد نجح في جلب اهتمام الجمهور العريض، وعشّاق الفن السابع على اختلاف اعمارهم وانتماءاتهم الاجتماعية. لأنّ هذا الفيلم، وبكلّ بساطة، يمتلك مقوّمات العمل الإبداعي السينمائي المتماسك:معالجة درامية مميّزة، لغة سينمائية راقية وبليغة، أداء تمثيلي متقن ومحترف إضافة إلى إيقاع تصاعدي مشوّق نجح في شدّ انتباه المتفرّج. وكعادتها ظلّت سلمى بكار وفيّة لمسيرتها السينمائية النضالية ولمبادئها السياسيّة التقدميّة، إذ حاولت من خلال فيلمها الجديد الكشف عن فصل، غير معروف لدى الأجيال الجديدة، من فصول الاضطهاد الذي كان مسلّطا على المرأة التونسية قبل الاستقلال. الأمر يتعلق «بدار الجواد» المعروفة في تلك الفترة بدورها التأهيلي والإصلاحي للمرأة المتمرّدة وغير الملتزمة بالعادات والأعراف الاجتماعية؛ ولكن في حقيقة الأمر هي دار للعقاب تتعرّض فيها النساء لأشكال عدّة من التعذيب الجسدي والنفسي.

أربع شخصيات نسائية من زمن آخر

تدور أحداث الفيلم في منتصف الخمسينات من القرن الماضي، قبيل الاستقلال، في سياق عام مفعم بالمشاعر القومية والروح النضالية واختارت مخرجة العمل أزقّة المدينة العتيقة لتصوير فيلمها وقامت من خلاله بتسليط الضوء على الحياة اليومية لأربع شخصيات نسائية من أوساط اجتماعية وثقافية متباينة، لكل واحدة منهنّ قصّتها، حيث نجد شخصية «بهجة» (وجيهة الجندوبي) المرأة المثقفة والمتحرّرة التي ترفض خيانة زوجها لها وتستميت في المطالبة بالطلاق، و«آمال» (نجوى زهير) أمّ البنات المقهورة والمغلوبة على أمرها التي ترفض غطرسة وظلم حماتها لها نتيجة عدم قدرتها على إنجاب ذكر. كما نجد شخصية "حسينة» (سلمى محجوب) المراهقة المتعلمة والعاشقة التي تتحدّى عائلتها البورجوازية لتقع في غرام شاب ثوري ومندفع قادم من الريف، إضافة إلى شخصية «ليلى» (سهير بن عمارة) الزوجة المحرومة من إشباع رغبتها العاطفية والجسدية والتي ترفض عجز زوجها وتضطر إلى خيانته، دون أن ننسى بالطبع بقية الشخصيات النسائية الثانوية الأخرى.

اختارت سلمى بكّار أن تقدّم شخصياتها الأربع الرئيسية بطريقة ذكيّة، من خلال إعادة نفس اللقطة السينمائية لكلّ منهن على حدة، وذلك بالتركيز على صورة مقرّبة لأقدام حافية تحاول التسلّل على أطراف الأصابع ببطء وتردّد، في مشهد يترجم الشعور بالخوف والقلق من المجهول، ليبدأن جنبا إلى جنب رحلة كفاح وتحدّ لدفاع عن الحقوق والكرامة التي سلبت منهن باسم العادات والأعراف الاجتماعية.

رحلة كفاح من أجل الكرامة

تجد بطلات الفيلم أنفسهن ضحايا في نهاية المطاف أمام «حاكم الدريبة» أو القاضي الشرعي (جمال مداني) الذي يعتمد في أحكامه على مساعدة شيخين يمثّل كل واحد منهما المذهبين المالكي والحنفي. ما يلفت النظر هنا حنكة المخرجة في الاعتماد على صورة كاريكاتورية لتقديم هيئة القضاة الشرعيين وذلك في إشارة إلى بعض رجال الدين الذين يكيّفون النصوص الدينية حسب أهواء بعض المتنفّذين والمتسلّطين لبلوغ غاياتهم الرخيصة وإشباع رغبات نفوسهم الضعيفة. كما جعلت سلمى بكّار من مشهد المحاكمة صورة متواترة في الجزء الأول من الفيلم، حيث اختارت في كل مرة أن تغيّب عن قصد صوت شيخ المالكيّة بخفض صوته مقابل إعطاء مساحة أكبر لشيخ الحنفيّة الذي كان يظهر التزامه بالتفاسير القطعية للقانون الإسلامي وينادي بتطبيقها، ولعلّ في ذلك تعبيرا عن التمسّك بالمذهب المالكي المعتمد منذ قرون في تونس، باعتباره أكثر المذاهب اعتدالا ووسطية، خاصّة بعد أن ارتفعت عدة أصوات في السنوات الأخيرة تنادي باتّباع مذاهب أكثر تشدّدا.

ستستمرّ رحلة كفاح النساء الأربع بعد إدانتهن، وهنّ يواجهن «الجايدة»، وقد أدّت دورها ببراعة فائقة الفنّانة القديرة «فاطمة بن سعيدان» التي ظهرت في أغلب فترات الفيلم كشخصية قوية وصارمة في التعامل مع نزيلات الدار. والجدير بالذكر أنّ شخصيات سلمى بكار ليست ثابتة بل هي مُتغيّرة وديناميكية، إذ تتحوّل العلاقة فيما بينها من العزلة والانغلاق إلى تضامن واصطفاف في مواجهة الرجعية والاستبداد المسلّط عليهنّ، لتكون نقطة التحوّل الهامّة في مسار الأحداث عندما تقرّر إحدى البطلات وضع حدّ لحياتها في نهاية الفيلم بعد أن رامت التحرّر بدلا من الخضوع للإذلال. مشهد الانتحار صُوّر بطريقة غير تقليدية وجريئة، إذ وظّفت المخرجة بعض المؤثّرات الصوتية والبصرية لتزيد من حدّة الواقعة، وآثرت التدرّج في الكشف عن مصير شخصيتها بإطالة بعض اللقطات للإبقاء على المتفرّج في حالة إثارة دائمة وإصرارها على توريط شخصيّة الزوج الذي كان يبحث عن إشباع رغباته الجنسية إلى أن اكتشف أنّه يتلمّس جثّة هامدة. تتسارع الأحداث وتتطوّر مع اندلاع الانتفاضة الشعبية ضدّ المستعمر وتحرص المخرجة على التركيز على شخصياتها الأربع الرئيسية التي كانت تراقب وترصد الأحداث من وراء الجدران المغلقة، لينتقل بنا شريط الصور مباشرة إلى مشهد عودة الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة من منفاه الفرنسي في غرّة جوان 1955، وقد أبت سلمى بكار إلاّ أن تخلّد بصور حقيقية هذه اللحظة التاريخية على شريطها السينمائي، وهو الحدث الذي أعطى ضربة البداية للحركة النسائية بتونس، لتتحوّل بنا المشاهد فيما بعد من صور بالأبيض والأسود إلى صور بالألوان في دلالة على أنّ زمن قمع المرأة اجتماعيا وجنسيا ودينيا قد ولّى وفات.

مع نهاية الفيلم، ندرك أنّ القصّة هي عبارة عن «فلاش باك» مطوّل (نظرة إلى الوراء) وثّقت من خلالها المخرجة الواقع المرير للمرأة التونسية قبل الاستقلال، لتعود بنا في المشهد الأخير وتركّز من جديد على إقدام إمرأة أنيقة تجوب بهو المجلس التأسيسي بخطوات ثابتة هذه المرّة بعد أن كانت في بداية الفيلم متردّدة وخائفة. هذه المرأة ليست سوى ابنة «بهجة» إحدى الشخصيات الرئيسية لسلمى بكار التي استماتت في الدّفاع عن كرامتها وحريتها، لينتهي الفيلم بخطاب المخرجة في المجلس التأسيسي على إيقاع النشيد الوطني التونسي. فيلم سلمى بكار هو، في تقديرنا، تحفة فنيّة من حيث الحبكة الدرامية والإخراج ، غير أنّنا نبدي تحفّظا بشأن اختيار بعض الممثلين الثانويين إضافة إلى بناء بعض المشاهد المستعجل وغير المتقن خاصّة بالنّسبة إلى مقاطع المواجهات بين المستعمر الفرنسي والمقاومين . كما أدّى تجريد أغلب الشخصيات الرجالية من الصّفات الإنسانية وإظهار البعض منها في دور العاجز عن اتخاذ القرارات الصائبة إلى خلق بعض الفجوات في التركيبة الدرامية. فيلم «الجايدة» هو رحلة سينمائية عبر الزمن وصرخة ضدّ ثقافة النسيان من أجل ألاّ تذهب تضحيات المرأة التونسية سدى وحتى تحافظ طفلة اليوم وامرأة الغد على مكتسباتها لمجابهة تحديات الحاضر والمستقبل.

م.ن.و.

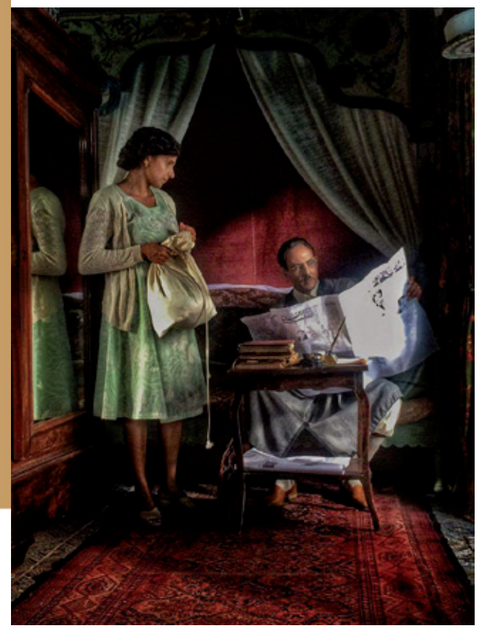

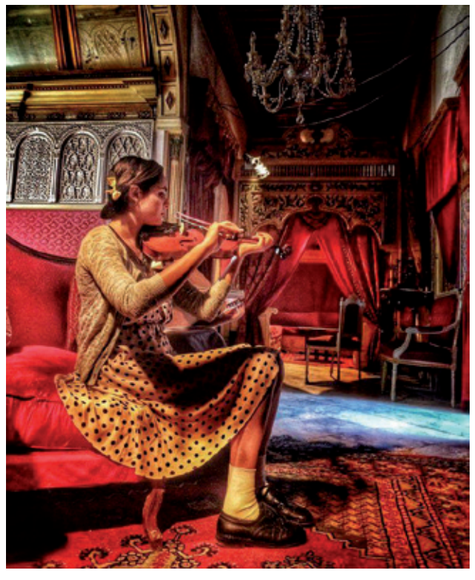

Rendement 2015
5,04%
net de frais de gestion

- Placement à **100 % Garanti**
  Vous bénéficiez d'un Taux Minimum GARANTI à vie
- Placement à **100 % Gagnant**
  Votre argent est fructifié à un taux de rendement performant
  Vous bénéficiez d'un cadre fiscal très attrayant
- Placement à **100 % Souple**
  Vous êtes libre de changer les montants et les fréquences de vos versements.
  Mieux encore votre argent reste disponible à tout moment.

... Vous faites le bon choix !

Assurances SALIM, l'assurance qui respecte ses engagements !

تأمينات سليم
ASSURANCES SALIM
Votre Protection...c'est notre métier !

Siège Social : Immeuble Assurances SALIM Lot AFH BC 5- Centre Urbain Nord - Tunis 1003
Tél.: (+216) 71 184 200 - Fax : (+216) 71 184 284
E-mail : commercial@salim-ins.com
Site Web : www.salim-ins.com

• بقلم الشاذلي القليبي

الدكتور صالح المهدي (1925 – 2014)

«زريـــــاب» تـــونـــس

من ألمع وجوه الثقافة والفنّ، في البلاد العربيّة قاطبة، الأستاذ الدكتور صالح المهدي، الذي جمعَ، إلى ثقافة القانون، ثقافة الأدب والفنّ، وبراعة العزف على الناي والعديد من الآلات، متوّجا كل هذه المهارات بحذق الأساليب الإداريّة، والإلمام بقواعد التنظيمات الدُوليّة – مع شهرة بالاستقامة لم تنقطع، في السلوك الشخصي، وفي التصرّف الإداري.

ولقد تدرّج، في اقتحام هذه المجالات، الواحد بعد الآخر، وبلغ فيها جميعا مبالغ عالية، وهو لا يكاد يتجاوز ريعان الشباب.

وحَسبُه أن كان لقب «زرياب» – الذي اختاره لنفسه – شاملا للدور الذي كان يتطلّع إليه، إذ كان من أوائل مَن طرقوا أبواب الفنون الموسيقيّة عن جدارة ثقافيّة، وعن موهبة فنّية ، وعن أرومة عائليّة متأصّلة، حتى صار ذلك عنده سلوكا حضاريّا.←

فقد دخل الميدان الفنّي، قويّا بما لقّنه والده الذي عُني بتوجيهه منذ صباه ؛ ودخل سائر المجالات الأخرى، بما تهيّأ له من تكوين مدرسي، وثقافة زيتونيّة، وتضلّع من الحقوق.

أمّا المحطّة التي انفرد فيها بإشعاع وطني، ثمّ بسمعة عربيّة واسعة، فبدأت بعد إنشاء كتابة الدولة للشؤون الثقافيّة، في مطلع الستّينات، لمّا عزم الرئيس الحبيب بورقيبة، بعد أخذٍ وردّ، على إحداث وزارة تهتمّ بالقطاع الثقافي.

فقد كان الرئيس متردّدا في ذلك، لاشتهار الدول الشيوعيّة بهذا الاختصاص الوزاري؛ وكان يتحاشى الاقتداء بها، لإيمانه بأنّ الثقافة، بدون حرّية الإبداع، لا خير فيها لأهلها، ولا للبلاد عامّة.

ثمّ طرأ، في تنظيمات الحكومة الفرنسيّة، ما أقنع الرئيس أنّ الممارسات الشيوعيّة، في أعمال هذه الوزارة، يمكن تفادي سلبياتها، بفتح أبواب الحرّية، والسعي لنشر الحركة الفكريّة. وكان من حظّ هذه الوزارة الناشئة أن اجتمع في رحابها، ومن حولها، ثلّة من أهل الفكر ومن أصحاب الاختصاصات الفنّية الأفذاذ. ومن حظّ هذه الوزارة، كذلك، عند أوّل إحداثها، أن كانت تربط علاقةٌ حميمة بين من كُلّف بمسؤوليّتها، وبين الوزير المشرف على التعليم، إذّاك – الأستاذ محمود المسعدي. فلم يمانع من نقل المدير صالح المهدي إلى الوزارة الجديدة، لِيقوم فيها بإدارة قطاع اختصاصه – على أن يواصل النظر فيما كان بعهدته من تعليم الموسيقى، بالمدارس الثانويّة. وكانت الرغبة في استلحاقه أكيدة، إذ كان وفّق في قيادة أعمال هامّة تتّصل بنشر الثقافة الموسيقيّة، وعَلت فيها شهرته.

وكان استمراره في الإشراف على التعليم الموسيقي بالمعاهد الثانويّة ممّا أكّد أواصر التعاون بين الوزارتين لِما فيه غنم للطرفين ؛ وفتح الطريق، فيما بعد، إلى إحداث أنشطة مسرحيّة للطلبة الجامعيّين، ساعدت على تنظيمها إدارة المسرح بالشؤون الثقافيّة. وأوّل ما توجّه إليه اهتمام الرجل، بعـــد

■ بين شيخي الأدب والفنّ محمّد العربي الكبادي وخميّس ترنان سنة 1950

انتقاله إلى الوزارة الجديدة، تقييم جدوى الدروس في معهد الموسيقى، ثمّ إحداث فروع له في داخل الجمهوريّة، تطوّرت واتسعت أعمالها، إلى أن استقلّت تدريجيًا، بشؤونها الخاصّة ؛ فكانت نقط إشعاع للثقافة الفنّية في مختلف مناطق البلاد.

وفي نفس الوقت انتظمت، داخل الولايات، حركة شملت سائرالأعمال الثقافيّة، برعاية «اللجنة الثقافيّة القوميّة». وكان ذلك مُؤَكّدا لِما توجّهت إليه الوزارة من دعم لمختلف الاجتهادات الجهويّة، حتى يكون العمل الثقافي شاملا لها، متغذيا ممّا يتدفّق منها، فيكون العمل الثقافي صورة حيّة لِما يعتمل فيها جميعا من إبداع وابتكار. وقد تحمّس سي صالح لإنجاح هذه التجربة النموذجيّة، ورعاها بكلّ جهوده لمّا اضطلع، أثناء مسيرته الإداريّة، برئاسة «اللجنة الثقافيّة القوميّة» التي وظيفتها التنسيق بين اللجان الجهويّة، ومتابعة كلّ ما يتعلّق بالشؤون الثقافيّة في الولايات.

■ صحبة بوبكّر المولدي سنة 1967

وبانصهار مختلف هذه الأنشطة، وتفاعلها في تركيز الاهتمامات الثقافيّة، وإثارة الاجتهادات الفكريّة والفنّية، بدأت تظهر ملامح ثقافة تونسيّة جديدة : عريقة في عروبتها، متأصّلة في انتمائها الوطني، متفتّحةٌ على المنازع الإنسانيّة، آخذة بسُبل التطوّر والنموّ. وكان ذلك من محاور العمل الذي قصدت إليه الوزارة المستحدثة : أعنـــي إخراج الحركة الثقافيّة من الانحصار في العاصمة، وجعلها تشعّ من ســـائر المدن، شاملة لوجوه من الفنون لم تكن قبلُ تُعتبر من الثقافة.

وازداد دور الأستاذ صالح المهدي ألَقًا، بتنظيم العديد من المِهرجانات الفنّية : في طليعتها مهرجان طبرقة الدولي للفنون الشعبيّة. فقد أقدم على تنظيمه بجرأة نادرة، لأنّ وسائل الوزارة إذاك كانت ضئيلة، وعلاقاتها الخارجيّة محدودة. لكن المفاجأة أنّ هذا المهرجان كان ناجحا بكلّ المقاييس ؛ وانتشر الاقتداء به في أنحاء من البلاد – وخارجها أيضا. وكانت فيه عُدة تونس نواة ما سُمّي بفرقة الفنون الشعبيّة، التي ساهمت في إيصال صيغ فنّية مهذّبة إلى سائر الأرياف. وأذكر أنّ سي صالح كان يُلحّ على أعوانه أنيَنطقوا «مِهرجان» - بكَسر المِيم، تبعًا للأصل الفارسي. فقد تصدّى سي صالح لِتهذيب الذوق الشعبي، بغربلة الكلمات، وإدخال تقنيات الحراك الفنّي في الرقص ؛ وكان، في كلّ ذلك، ساعيا إلى التّحديث، مع الوفاء للجذور، وتيسير الابتكار بما يتماشى مع أذواق المجتمع. كما اهتمّ الأستاذ المهدي بجمع التراث، في المجالات التابعة لأنظاره ؛ أخصّ بالذّكر منها ما كان يسمّى بـ«الشعر الملحون» والذي أَطْلَق عليه الرئيس بورقيبة اسم «الشعر الشعبي». وكذلك اهتمّ بإمعان النّظر في لغة «المالوف»، والمقارنة بين أندلسيات الذّاكرة، في كلّ قُطر من بلاد المغرب العربي الكبير.

وكان لِمهرجان المالوف، ولإشعاع الجمعيّة الرشيديّة – التي أغتنم الفرصة لأحيّي دورها التاريخي في الحفاظ على التراث الوطني – فضل كبير في نشر الافتتان بنوبات المالوف في أوساط الشباب ؛ فكان ذلك ممّا ثبّت فيهم الميل إلى الفنّ الشرقي، في ظرف كانت العولمة تحمل إليهم أنماطا مُغرية، من شأنها، لو تُرك لها المجال، أن تُهجّرهم عن فنون حضارتهم.

وساهم أيضا الأستاذ المهدي في نسج علاقات مع الأجوار، بشتّى الوسائل، وخاصّة بفتح معاهد التعليم الفنّي لأبناء الجزائر وليبيا. ومن أهمّ ابتكارات الفقيد – التي نعتزّ بها بصورة أخصّ – إحداث قسم يُعنى بما يُسمّى بفنّ «التّجويد»، لِتلقين مخارج الحروف وقواعد التلاوة الملحنة، ولتحقيق حسن التناغم بين الأصوات ومعاني الآيات. وإلى جانب خصاله الذاتية، عُرف المرحوم بتلاحين رائعة، مختلفة المشارب ؛ أوّلها – فيما قال لي – أناشيد وطنيّة، أمدّ بها الشعبة الدستوريّة التي كان منخرطا بها قبل الاستقلال. ولعلّ من طرائف أعماله، قطعةً مُزجت فيها الروحيّة الشعبيّة بالذوق المتطوّر، وهـــي «القطعـــة – النشيـد» المعروفـة بـ : «سيّد الأسياد» – والتي كَلِف بها المجاهد الأكبر، وهو إذّاك في قمّة مداركه. وممّا أعتزّ به شخصيًا، أثناء تشرّفي بالعمل في رحاب الشؤون الثقافيّة، أن انعقدت، بيني وبين «زرياب» تونس، روابط تعاون ومودّة، تواصلت إلى أواخر أيّام الفقيد، رحمه الله، وجازاه خير الجزاء.

وختاما، فلا نبالغ إذا قُلنا إنّ العمل الذي قام به فقيدنا العزيز، في مختلف المجالات التي ذكرناها، يُعدّ من أهمّ إنجازات الوزارة، منذ أوّل انطلاقها.

ش.ق.

■ صالح المهدي يتوسّط الفنّانتين منى نورالدّين ونعمة

طريقي إلى الحـــــرّيّة

من سيرة العَلَم إلى سيرة العِلْم

ليست كتابة السّيرة الذّاتيّة أمرا متداولا مطّردا في أدبنا التّونسيّ، فعدد الأعلام الذّين نشروا سِيَرهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من بينهم محمّد العروسي المطوي (رجْعُ الصّدى) والبشير بن سلامة (عابرة هي الأيّام) وعزّ الدّين المدني (أيّام سعيدة)، وهو أمر يشير الاستغراب إذا علمنا أنّ أوّل سيرة ذاتيّة في تاريخ الإنسانيّة كتبها تونسيّ وهي «الاعترافات» للقدّيس أوغسطين. أمّا في الآداب الغربيّة فإنّ هذا الجنس من أدب الذّات شائع منتشر يزاوله المشاهير من أعلام الأدب والفكر والفــنّ والسّيــاسة وغير المشاهــير من عموم النّاس.

وبسبب ندرة هذا الضّرب من الكتابة عندنا ترانا نقبل بشوق وشغف شديدين على كلّ سيرة ذاتيّة جديدة نتوقّع الإضافة كلّ لمحة ونترقّب الطّرافة كلّ صفحة. وآخر ما أهلّ في هذا الباب سيرةٌ ذاتيّةٌ تحمل عنوان «طريقي إلى الحريّة» كتبها الأستاذ حمّادي صمّود. وهو علم بارز من أعلام الجامعة التّونسيّة وأحد أساتذتها الأفذاذ اللّامعين الذّي كان لأسمائهم في أوساط الطّلبة رنّة وصدى، اختصّ في تدريس البلاغة وعلوم الخطاب ونظريّات الأدب وأشرف في ذلك على بحوث وأطاريح عديدة، وخاض تجربة التّدريس في الجامعات الفرنسيّة ، ووضع في اختصاصه مؤلّفات هامّة باللّسانين العربيّ والفرنسيّ، وهو من العرب القلائل الذّين حرّروا في مجلّة Poétique وفي دائرة المعارف الكونيّة Universalis .

ولعلّ أهمّ ما تتميّز به هذه السّيرة الذّاتيّة أنّها تأتلف مع سائر ما كُتب في هذا الجنس الأدبيّ وتختلف معه في آن واحد. فلمّا كان صاحبها عارفا تمام المعرفة بمقتضيات التّأليف في جنس السّيرة الذّاتيّة وقوانينه فقد أودع فيها ما به تستقيم نسبتها إلى ذاك الجنس، ولكنّه تلطّف في العدول عمّا يميّز الكتابة في هذا المضمار فجعل مسار السّرد لا ينعقد على استحضار ما مرّ بالذّات من أحداث ووقائع فحسبُ، وإنّما على الشّهادة الوفيّة على ما عرفته حياة العلم والتّعلّم في بلادنا من أطوار ومنعطفات، واستأثرت الجامعة في هذا المسار بحظّ وافر من الاهتمام، ولا غرابة في ذلك فالأستاذ حمّادي صمّود قضّى بها طالبا فباحثا ومدرّسا ما يقرب من نصف قرن .

وعلى هذ النّحو قد يجوز القول بأنّ «طريقي إلى الحريّة» هو سيرة للعِلْمِ أكثر ممّا هو سيرة للعَلَمِ وترجمة لأوضاع المعرفة أكثر ممّا هو ترجمة لأحوال الذّات. بل إنّ الذّات والعِلم في هذا الكتاب موضوعان متبادلان في الواحد انعكاس للآخر وتجسيد رمزيّ له أحيانا.

وإذا كان من أهمّ مكوّنات السّيرة الذّاتيّة ما يسمّى محــكيّ الطّفــولة Récit d'enfance فإنّه قد توزّع في هذا الكتاب بين حكايات البحر والصيّادين في ساحل مدينة قليبية ولهو الطّفولة البريئ وومضات من النّضال الوطنيّ إبّان الثّورة التّحريريّة وأحاديث التعلّم والمدرسة. ولعلّ من أطرف ما في هذه المرحلة أنّ علاقة المؤلّف بالمدرسة في بداياتها لم تكن توحي بمسار ذي بال، فقد كان دخوله المدرسة محض صدفة ، وقد حُمل إليها عن طريق إحدى قريباته ودرس بها ستّ سنوات دون أن يكون له بها ملفّ أو وثيقة للتّسجيل، ثمّ إنّه قرّر الانسلاخ عنها بعد أيّام قليلة من دخولها، وهو يروي في ذلك حادثة كانت فاصلة في حياته وهي «الطريحة» التّي عاقبته بها والدته «جميلة «بعد التّفطّن لغيابه عن المدرسة، فكانت تلك الحادثة مبدأ صلة عشق عميق بالتّعليم والتّعلّم : «أمّا النّاس من بلدتنا وأصدقاء الدّراسة والمقهى في حيّنا فمقتنعون بأنّ الفضل في ما حقّقتُ يرجع إلى طريحة «جميلة»، ولا يزال يذكّرني لِداتي بها علنا وأنا في هذه السنّ على سبيل المزح والدّعابة».

ولم تنته المرحلة الابتدائيّة دون حوادث لافتة، ففي السّنة السّادسة سنة «الشّهادة» و»السّيزيام»، يذكر المؤلّف أنّه تخلّف عن إجراء امتحان «الشّهادة» لأنّه لم يدرك الحافلة التّي تقلّ التّلاميذ إلى بلدة «منزل تميم» لاجتياز الامتحان. غير أنّ ما فاته في الشّهادة لم

EXPRESS AIR CARGO

VOTRE PARTENAIRE POUR LE FRET AÉRIEN

5 5 VOLS PAR SEMAINE VERS L'ALLEMAGNE

3 3 VOLS PAR SEMAINE VERS LA FRANCE

5 5 VOLS PAR SEMAINE VERS MALTE

www.express-aircargo.com

يفته في امتحان «السّيزيام» الذّي اجتازه بنجاح لتنفتح أمامه مسالك في المعرفة جديدة.

أمّا مظاهر التّرجمة للجامعة والعِلْم فيمكن لقارئ الكتاب أن يرصدها في أربعة مستــويات كبرى هـــي: الأعـلام والمناهج والنّظرّيات ومظاهر الإشعاع.

«قُم للمعلّم وفّه التّبجيلا ...»

كان لأساتذة الجامعة التّونسيّة في ستّينات القرن الماضي حضور واضح في الكتاب، وقد ذكر المؤلّف في مقدّمته أنّ من مقاصد كتابة هذه السّيرة الذّاتيّة تكريم «رجال مؤمنين برسالتهم جُبلوا على السّخاء ومدّ يد العون لمن رأوا فيهم وعدا بإمكانٍ به تتجدّد رسالتهم وتستمرّ» ، وهكذا رسم الكتاب «بورتريهات» لافتة لأبرز أعلام الجامعة في مرحلة الطّلب والتّحصيل من التّونسيّين والأجانب، فيها من تدقيق الخصال العلميّة والمناقب الخُلُقيّة ما ينمّ عن اعتراف بالجميل، فالأستاذ فرحات الدّشراوي» كان عالما ثَبْتًا يعرف دقائق مسألته وله في كلّ ما كُتب عنها رأيٌ». والأستاذ صالح القرمادي «يتناول مسائل اللّغة تناولا يثير الدّهشة ويقول في اللّغة أقوالا لم يسبق للمتعلّمين بها علم ويُحسن من اللّغات أكثر ممّا يحسن غيره». أمّا الأستاذ محمّد الطّالبي فهو «ذائع الصّيت واسع المعرفة ، وكان درسه فرصة أدركنا من خلالها مدى إلمامه بشؤون الفكر والحضارة وما له من قدرة على إنطاق النّصوص وإدراجها في نسق في التّفكير هو صورة لصاحبه وللعصر الذّي كُتب فيه ذلك الشّعر». ويتحدّث المؤلّف عن الأستاذ عبد القادر المهيري، وقد أشرف على أطروحته، بكثير من الإكبار والإجلال فيقول عنه «وهو في كلّ ما فعل لا يشعرك بأنّه قام بأكثر ممّا يجب أن يقوم به الأستاذ تجاه طالبه إن وقف لديه على طموح حتّى لا تقعد به قدراته، وأرجو أن تكون المحبّة والتّقدير والتّبجيل التّي أكنّها له ومحاولة تأثّر نهجه في التّعامل مع طلبتي بعض ذلك الدّيْن». وأمّا الأستاذ منجي الشّمـلي فهو أستـــاذ له «باع عريض في صياغة المسائل والحرص فيها على الجدّة والطّرافة والسّبق».

ومن الأساتذة الأجانب الذّين كان لهم أثر عميق في حياة الجامعة التّونسيّة في ذلك الوقت وسيكون لهم - في مجال اختصاصهم – صيت كبير في العالم «ميشال فوكو» الذّي يقول عنه الأستاذ صمّود :» نراه في منعطفات الممرّات برأسه المائل إلى الاستطالة الحليق ونتوء علماء الرّياضيّات في مؤخّرة رأسه ولونه الأشقر الشّاحب ولباسه البسيط ، نراه متّكئا إلى نافذة من النّوافذ يواصل حديثا بدأه مع طالب أو طالبة خارج الدّرس، ثمّ كنّا نحضر درسه العموميّ الذّي حلّل فيه رسوما من مشاهير الرّسّامين وكان يحضرها جمهـور غفير فيهم بعض ساسة البلاد والمتولّين أمرها».

العيون الصّافية

من المصادر التّي تستمدّ منها هذه السّيرة الذّاتيّة قيمتها المرجعيّة والاعتباريّة في آن واحد أنّها تعرض مرتكزات التّكوين الجامعيّ ومقوّماته بما يؤكّد اتّخاذها سيرة العَلَم سبيلا إلى استقصاء سيرة العِلم، فالقارئ بوسعه أن يلاحظ بيُسر متانة التّكوين الذّي تكفله الجامعة لطلبتها في أقسام اللّغة والآداب والحضارة العربيّة . ويتجلّى ذلك في أربعة مظاهر أساسيّة:

• أوّلها ما يتّسم به هذا التّكوين من شمول واتّساع، فالطّالب في هذه الأقسام مدعوّ إلى الحصول على شهادات الدّراسات العليا في الحضارة الإسلاميّة وأساليب البحث، وفي النّحو العربيّ وفقه اللّغة، وفي الأدب العربيّ، وفي الآداب واللّغات الأجنبيّة فضلا عن إتقان نشاطي التّعريب من الفرنسيّة ومن الأنقليزيّة والنّقل من العربيّة إلى الفرنسيّة، وقد أضيفت إلى ذلك في سنوات لاحقة شهادات في المناهج الحديثة (السّرديّات والأسلوبيّة) وفي اللّسانيّات وفي الأدب المقارن وفي تقنيّات التّرجمة. ويتيح هذا التّكوين للحاصلين على الأستاذيّة إلماما كافيا بكلّ فروع دراسة اللّغة والفكر والأدب وعُدَّة لا بأس بها تساعد على تناول مختلف قضاياها وإشكاليّاتها.

• ثانيها ما يفرضه هذا التّكوين من ضرورة إتقان اللّغات الأجنبيّة لا سيّما الفرنسّية والأنقليزيّة، فقد كان الأساتذة يحرصون بكثير من الشّدّة والصّرامة على أن يمتلك طلبتهم ناصية تلك اللّغات ، ذلك أنّ «البحث العلميّ لا يمكن أن يتمّ للباحث إلّا إذا كان قادرا على القراءة بلُغتين على الأقلّ، وكلّما زاد عدد اللّغات ازدادت قيمة عمله وتوسّعت رؤيته» .

• ثالثها ما يقتضيه هذا التّكوين من إلمامٍ بالمناهج الحديثة ومواكبةٍ لما يستجدّ في الأوساط الأكاديميّة الغربيّة بما يُقدر الطّلبة على امتلاك أدوات معالجة ناجعة ونسج شبكة قراءة عالية الفعاليّة.

• رابعها ما يُنمّيه هذا التّكوين من ملكات الفكر النّقديّ بما فيه من حثّ على أن يتدبّر الطّالب ما يتلقّاه ويُعمل الرّأي فيه ويتّهم الظنّ في كـــلّ ما يقرؤه أو يُعرض عليه .

لقد كانت الجامعة حقّا عيونا صافية ينهل منها الظّمْاءُ المتعطّشون ونبعا زلالا يرده المغترفون.

من زمن البنيويّة إلى زمن التّداوليّة

لعلّ من أطرف ما في سيرة الأستاذ حمّادي صمّود الذّاتيّة أنّها تتحوّل في بعض المواطن إلى تعقّبٍ لمسارات نظريّة الأدب واقتناصٍ لمراحل تطوّر مذاهب النّقد ومناهج تحليل الخطاب، فتتداخل سيرته بسيرة تلك الاتّجاهات والتّيّارات، فهو يذكر «سيادة» منهج «قوستاف لانسون» التّاريخيّ في طور من أطوار التّعليم الجامعيّ، ثمّ يعرض لهبوب رياح «البنيويّة» و«الشّعريّة» وبسط سلطانها على الدّراسات التّي تتناول النّصّ الأدبيّ وأنساق المعرفة طيلة السّبعينات، ويعرّج بعد ذلك على بروز نظريّة الأعمال اللّغويّة الأنقلوسكسونيّة وما ترتّب عنها من إعادة نظر في فلسفة القول وإجلاء لقدرة اللّغة على تحويل المقول فعلا.

ويستحضر بواكير ظهور «التّداوليّة» في الأوساط الجامعيّة على نحو خافت في البداية تعريفا وإشارة إلى الأسس الكُبرى ، ثمّ على نحو أكثر جلاء بعد ذلك بما جعلها تؤثّر في الوجهة التّي ستتّجه إليها الدّراسات البلاغيّة والأدبيّة. وهكذا ستتبوّأ «البلاغة الجديدة» منزلة متقدّمة وستُميل إليها أنظار الدّارسين وتستأثر باهتمامهم، وليست هذه المنزلة في الحقيقة سوى رجوع إلى أصول البلاغة وإلى ما كان يؤسّسها من أقسام هي مراحل كلّ خطاب مُقنع ومثير وممتع.

الجامعة من التّأسيس إلى الإشعاع

تظلّ الجامعة التّونسيّة في جزء هامّ من كتاب «طريقي إلى الحريّة» القطب الذّي تدور عليه كتابة الذّات، فبعد التّطرّق إلى أعلام الجامعة ومناهج التّدريس فيها ونظريّات الأدب التّي تحاورت في رحابها يذكر الأستاذ حمّادي صمّود وجها آخر من وجوهها النّاصعة وهو الإشعاع الذّي أُتيح لها شرقا وغربا والسّمعة التّي كانت لها في الأوساط الأكاديميّة الأجنبيّة، يذكر ذلك انطلاقا من تجربته الذّاتيّة أوّلا، ثمّ من خلال تجربة واحد من كبار الأساتذة وأحد مؤسّسي الجامعة التّونسيّة وهو الأستاذ أحمد عبد السّلام.

أمّا التّجربة الذّاتيّة فتتمثّل في دعوته للتّدريس بالجامعات الفرنسيّة بداية الثّمانينات، وقد كانت دروسه موزّعة على ثلاث مؤسّسات هي جامعة باريس الثّالثة (الصّربون الجديدة) وجامعة باريس الثّامنة بسان دوني حيث درّس لطلبة الإجازة الأدب القديم والتّعريب وشرح النّصوص الأدبيّة، ودار المعلّمين العليا بباريس حيث درّس لطلبة التّبريز مراتب الظّاهرة البلاغيّة في المدوّنة العربيّة القديمة، ومقاربة أجناسيّة بنيويّة لشكل أدبيّ قديم هو المقامة. وقد كان للأستاذ جمال الدّين بن الشّيخ دور بارز في تلك الدّعوة.

وأمّا تجربة الأستاذ أحمد عبد السّلام فيتحدّث عنها المؤلّف بكثير من الاعتزاز حيث يذكر مقدم ذاك الأستاذ لإلقاء درس أسبوعيّ في مؤسّسة علميّة عريقة هي «الكوليج دي فرانس» بدعوة من الأستاذ «أندري ميكال» صاحب كرسيّ الدّراسات العربيّة بتلك المؤسّسة، وكان عنوان الدّرس «ابن خلدون وقرّاؤه»، يقول الأستاذ صمّود عن تلك التّجربة : «كان الدّرس مثالا في سعة المعرفة ووضوح المنهج ودقّة الفكرة وعلوّ المرتبة في البيان بلسان فرنسيّ فصيح لا يتيسّر إلّا لكبار الكتّاب أو الباحثين والمدرّسين... وكان إعجاب الجمهور بعد انتهاء الدّرس واضحا والالتفاف حول الأستاذ لا ينفضّ بسرعة لكثرة ما يطرحون عليه من أسئلة ويظهرونه من إكبار...إلى أن تمّت الحلقة ورجع الأستاذ إلى جامعته بعد أن ملأ التّونسيّين المقيمين هناك فخرا وأعطى عن الجامعة التّونسيّة التّي كان أوّل رئيس لها صورة ناصعة وأحلّها من مؤسّسات التّعليم مكانة مشرّفة».

والمحصّل أنّ هذه السّيرة الذّاتيّة كتاب على قدر بالغ من الأهميّة، بل لعلّه أهمّ كتاب يصدر بين ظهرانينا في السّنين الأخيرة، فإلى جانب كونه يعرض سيرة رجل من أخطر رجالات العلم والبحث عندنا فهو كتاب يقرأ مسيرة التّربية والتّعليم في بلادنا قراءة عميقة فاحصة ويُنصف - بمشاعر صادقة تنمّ عن وفاء واعتراف - كلّ من ساهم في أن يُكتب لتلك المسيرة ما صادفته من نجاح وسداد، هو كتاب يُلْهِم النّاشئة وطلبة العلم سُبل التّفوّق والتّميّز ويهديهم إلى مسالك التّرقّي في مدارج المعرفة ويُبصّر القائمين على شؤون التّعليم بأقوم مناهج التّصويب والإصلاح.

الحبيب الدريدي

تتويج علميّ جديد للأستاذ حمّادي صمّود

أُضيف إلى رصيد الأستاذ حمّادي صمّود الزّاخر بالجوائز العلميّة والتّتويجات تميّز علميّ جديد تمثّل في حصوله على إحدى جوائز الدّورة الخامسة عشرة (2016 - 2017) لمؤسّسة سلطان بن علي العويس الثّقافيّة بالإمارات العربيّة المتّحدة وهي جائزة الدّراسات الأدبيّة والنّقد التّي أُعلنت نتائجها يوم الأحد 26 نوفمبر 2017.

وقد مُنح الأستاذ حمّادي صمّود هذه الجائزة وفق بيان لجنة التّحكيم «تقديرا لجهده في إثراء النّقد العربيّ الحديث، إذ قدّم أفكارا ومعالجات جديدة في التّراث البلاغيّ العربيّ ، فهو من القلائل الذّين تتوافر في منتجهم المعرفيّ درجة عالية من العمق والتّمحيص وتأصيل المكتسبات المعرفيّة الإنسانيّة في الثّقافة العربيّة.

قبس من الذّاكرة للنوري بوشعّالة

عن مركز الأبحاث التابع لمنظّمة التحرير الفلسطينية صدر كتاب يقع في أكثر من 500 صفحة بعنوان « قبس من الذاكرة، مذكّرات ضابط أمن» من تأليف النوري بوشعّالة . المؤلّف عمل مدّة 35 عاما في سلك الأمن الوطني وانتمى بداية من سنة 1972 إلى إدارة أمن رئيس الدولة والشخصيات الرسمية وكُلِّف من سنة 1982 إلى غاية سنة 1999، سنة إحالته على التقاعد، بالحماية الأمنية للقيادة الفلسطينية بتونس.

الكتاب الزاخر بالصور يجمع بين المذكّرات الشخصية وعرض لمسائل وأحداث وطنية وعربية نالت اهتمام النوري بوشعّالة ، فقد خُصِّص محوره الأوّل لتسليط الأضواء على ما اختزلته الذّاكرة من وقائع في فترة النشأة، من الطفولة والشباب في مسقط الرأس مدينة صفاقس، عبر مراحل متعاقبة بين الحقبة الاستعمارية وعهد الاستقلال وكذلك بين مدن تونسية خصوصا في شمال البلاد، بينما حظيت فلسطين التاريخ والحضارة والقضية والمقاومة بالحيّز الأوفر من الكتاب. وفي هذا الصدد يتوقّف النوري بوشعّالة عند صفحات مضيئة في تاريخ العلاقات التونسية الفلسطنية ويدوّن بكثير من الدقّة والتفصيل المحطّات المؤلمة التي مرّت بها المقاومة الفلسطينية وقياداتها بدءا بالغارة الإسرائيلية على مقرّات القيادة الفلسطينية بحمّام الشطّ واغتيال أبي جهاد واغتيال القياديين الثلاثة أبي إياد وإبي الهول وفخري العامري. وإضافة إلى السير الذاتية لهؤلاء القياديين أورد سيرة ضافية للزعيم الراحل ياسر عرفات الذي عرفه عن قرب بحكم مهمّته الأمنية. وفي المحور الثّالث من الكتاب وعنوانه «المؤسسة الأمنية بين الواجب الوطني والتّوظيف السياسي»، يلقي النوري بوشعّالة أضواء كاشفة على طبيعة عمل هذه المؤسّسة والضّغوط الواقعة تحتها قبل الثورة لتوظيفها سياسيّا ويبرز الآفاق الجديدة المتاحة أمامها اليوم.

هذا الكتاب في نظر الرئيس الفلسطيني محمود عبّاس «إضافة نوعية ستثري المدوّنة الفلسطينية تاريخا وحضارة ومقاومة»، ومن جهته يعتبر فاروق القدومي عضو اللجنة التنفيذية لمنظّمة التحرير الفلسطينية أنّ المؤلّف «ثريّ بالمعلومات والسّرديات المتتالية والاستخبارات الهامّة لحقبة بالغة الأهميّة خصوصا على الصّعيد الفلسطيني».

كيف تمّت عملية اغتيال أبي جهاد؟

من الأحداث الأليمة التي يذكرها الكاتب عملية اغتيال أبي جهاد فجر 16 أفريل 1988 في بيته في ضاحية سيدي بوسعيد وبشأنها نورد هذه المقتطفات :

«ليلة الاغتيال زار المرحوم أبو جهاد فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظّمة التحرير الفلسطينية في ضاحية المنزه البعيدة عن مسكنه حوالي 20 كلم على غير عادته. وبعد المقابلة، عاد أبو جهاد إلى مسكنه رفقة سائقه سعيد والمسؤول عن أمنه ماهر الصغير. وكان في البيت حارس آخر اسمه نبيه سليمان أبو كريشان. كما كانت في البيت أسرته المكوّنة من ابنته حنان وعقيلته ورضيعها نضال والخادمة إضافة إلى البستاني التونسي الحبيب بن حسن الدخيلي الذي كان الفقيد يؤويه على سبيل الفضل...

يروى عن أمّ جهاد من قبل بعض الفلسطينين الذين عايشوا الحادثة الأليمة أنّها بينما كانت تجهّز حقائب زوجها المنهمك بمعالجة بعض الملّفات المتعلّقة بالانتفاضة، سمعوا جلبة وصوتا لافتا خارج البيت، ويبدو أنّ ذلك كان بعد نجاح القتلة في خلع الباب الداخلي الرئيسي للبيت ، ذلك أنّ أبا جهاد ما إن استلّ مسدّسه وهمّ بالنزول إلى الطابق السفلي لفتح الباب واستطلاع الأمر حتّى باغتوه ووصلوا إليه أمام غرفة نومه، أي على بعد مترين أو ثلاثة أمتار من باب غرفتها. وتضيف أم جهاد أنّها شاهدت زوجها وقد أطلق طلقة من مسدّسه تجاه أحد المهاجمين الذين صوّبوا أسلحتهم نحو يده ومسدّسه الذي انفجر في يده. وبعد أن أمطروه بالتداول، بحوالي سبعين طلقة تقول أم جهاد إنّها صرخت من هول المشهد طالبة منهم الكفّ عن إطلاق النار وتمزيق الجثّة، بينما كان أحدهم يصوّر المشهد، فما كان من أحدهم إلا أن خيّرها بين ملاقاة نفس المصير أو السّكوت وإدارة وجهها نحو الحائط. وتضيف أنّهم بعد إتمام العملية، توجّه أحدهم إلى هاتف البيت وانتزع قطعة منه، ثمّ غادروا ممتطين بعض السيارات...».

ع.ه

ذُبَابة تسيْ تسيْ

«أُجدّثي»

يا دكتور! صرتُ أشخر في منامي ويقظتي. أشخر وأنا أتكلّم، وأشخر وأنا آكل وأشرب، وأشخر وأنا أضحك، وأشخر وأنا...» فانفجر الطّبيب ضاحكا وأنا غاضب أشخر، حتّى إذا ما استكان قليلا، قال لي بين قهقهة وأخرى : «مسكين أنت يا رجل - وكانت بيننا مودّة قديمة منذ أيّام الدّراسة- ما تسمعه ليس شخيرك أنت ولكنّه شخير السّلطة! أنا أيضا أسمعه! جميعنا نسمعه! إلاّ السّلطة فإنّها لا تسمع شخيرها ولا نخيرها، ولو أنّ للنّخير بابا غير باب الشّخير، ربّما نفتحه في ورقة غير هذه». قلت: «حرام عليك ما تقول. السّلطة لا تأخذها سِنة ولا نوم، عيونها مفتوحة على كلّ صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة، في البرّ والبحر والجوّ، فكيف لها أن تشخر أو تنخر؟». قال لي: «أنت واهم يا ولد! السّلطة تكاد لا تستيقظ. لَدَغتْها ذبابة تسيْ تسيْ منذ سنوات طويلة. هل مازلت تذكر حكاية ذبابة النّوم تلك؟ إنّها تقتل في أفريقيا وفي السّنة الواحدة أربعمائة ألف فرد. وهو داء لا ينفع فيه مصل أو لقاح أو دواء». قلت: «ومن أين للذّبابة اللّعينة الملعونة أن تطال الحكومة وهي في برجها العاجي، في أعلى علّيين؟ وكيف للسّلطة أن تنام وأنا أراها، كلّ يوم، صباحَ مساء، في التّلفزة والجرائد، حيّة، تسعى، تخطب وتدشّن وتزغرد وتهتف وأسمعها في الرّاديو تزنّ وتطنّ». قال لي الطّبيب بعد أن جسّ نبضي وقاس حرارتي: «هل مازلت تتذكّر ما قرأتَ عن النّاس الذين يسيرون وهم نيام أو السّرنمة، كما سمّاها المبتدعون؟ كذلك هي السّلطة، تخطب وتسُوس وتنظّم انتخاباتها واستفتاءاتها وهي في عزّ النّوم أو في المنامة السّابعة كما يقولون. هذه ظاهرة عادية، بسيطة، ما دامت لم تتجاوز الحدّ، ولكنّها تصير في غاية الخطورة في مراحلها المتقدّمة، حيث يستفحل التّعب والإجهاد والقلق والاضطرابات العقليّة والسّلوكيّة ويعاني المريض من أزمة الهويّة فيفعل بنفسه ما يفعل العدوّ بعدوّه أو الجاهل بنفسه، كأن يقفز من السّطح أو يسلخ جلده بالمكواة أو يجدع أنفه أو أنف غيره وهو نائم، لا يعي ولا يدري، لذا يَنصح الأطبّاء والعارفون وأهل الاختصاص أن يقيم المرضى في الدّهاليز، كالجرذان، بعيدا عن السّطوح وعن كلّ ما هو شاهق مرتفع، وأن تخلوَ غرفهم ومطابخهم من كلّ ما هو حادّ وخطير، كالسّكاكين والمسدّسات والبنادق والعصيّ وفرق التّدخّل بأنيابها ومخالبها وذئابها». قلت، مقاطعا: «وفي أيّ المراحل، هي السّلطة؟ أفي بداية المرض أم نهايته؟»، فحدجني من تحت نظّارتيه وقال لي: «اسمع يا ولد، أراك قد خرجت بي عن موضوعنا إلى ذبابة تسيْ تسيْ وإلى السّرنمة فعُدْ بنا إلى سبب الشّخير والنّخير. أنت لا تجهل أنّ الشّخير ناتج عن انسداد جزئيّ في مجرى الهواء، حين يكون وضع الرّأس غير مضبوط بالنّسبة للعنق، أو يكون الإثنان بحجمين غير متناسقين، كرأس عصفور على عنق فيل أو عنق أرنب تحت رأس كركدن... التّنفّس عن طريق الأنف هو الطّريقة الطّبيعيّة، الغريزيّة، السّليمة التي توفّر كافّة الظّروف الملائمة لحسن الأداء الوظيفي للرّئتين، أمّا التّنفّس عن طريق الفم فهو طريقة مكتسبة، يلجأ إليه الإنسان، مضطرّا أو معاندا، عند انسداد الأنف أو كثرة الخطب والكلام بسبب وبدون سبب، ويسبّب ذلك شخيرا يعلو ويهبط نتيجة وجود حاجز يمنع أو يقاوم مرور الهواء، تماما، كما يحدث عندما يمرّ الهواء في مجرى ضيّق كثقب في جدار». قلت مقاطعا، معترضا: «ما دخل هذا في شخير السّلطة؟». قال لي: «ألا ترى الرّياح تهبّ عليها من كلّ حدب وصوب وهي تصدّها؟... إنّ مرور كمّيّة من الهواء غيرِ كافية لامتلاء الرّئتين يؤدّي إلى متاعب جسيمة تفضي إلى انكماشهما واحتقانهما وينتج عن ذلك عدم تشبّع الدّم بالأكسيجين فلا يقدر على التّخلّص من ثاني أكسيد الكربون ممّا يسبّب للقلب وللجهاز العصبي ضررا كثيرا، تلاحظه في تراجع الذّكاء وهبوط النّشاط وصعوبة التّركيز وانقطاع التّنفّس أثناء النّوم وأثناء الاجتماعات المغلقة والمفتوحة... وانسداد الأنف، عند الفرد كما عند السّلطة ناتج عن عيوب خلقيّة وتشوّهات منذ الحمل والولادة كالزّوائد اللّحميّة في التّجاويف والأورام الخبيثة في البلعوم. زِدْ إلى ذلك كلّه، زيادةً في الوزن، ناتجةً عن الشّحم الذي تراكم على مرّ السّنين... ويُنصح لمقاومة الشّخير بفتح النّوافذ، ليلَ نهار، عسى يتجدّد الهواء فيذهبَ الفاسد ويدخلَ النقيّ، كما يُنصح بكثير من الرّياضة الجسديّة والفكريّة كالمناظرات والمطارحات السّياسيّة بِحرّيّة وشفافيّة ودراية وكفاءة». قلت: «يا دكتور، لن يحدث هذا على أيّامنا هذه، فأَشِرْ عليّ بوصفة تخفّف عنّي شخير السّلطة، عسى أفوز بقليل من الرّاحة». فنظر إليّ، حائرا ومشفقا وقال: «لو كان الأمر بيدي لعالجت نفسي، فاصبر، لعلّ ذبابة تسيْ تسيْ تفعل بي وبك ما فعلت بالسّلطة، فنشبعَ مثلها نوما وخمولا وركودا. قلْ آمين!».

ص.و.